الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الأزمات الطبيعية و تأثيرها على البنية الاقتصادية والديمغرافية في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط (7-8هـ/13-14م)

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة:

نسيبة غرابي

إشراف الدكتور :

مفتاح خلفات

السّنة الجامعيّة: 1436-1437هـ/2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي ثمرة هذا البحث العلمي إلى :

كل من علمتني حرفاً ،و أنارت لي درباً ،إلى معنى الحب و الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة ، و سر الوجود إلى التي كرَّست صحتها وجهدهامن أجل سعادتي،إلى" أمي الغالية"،إلى الذي علمني العطاء بدون انتظار ،إلى الذي يسعى جاهدًا ،ومضحيًا، من أجل إرضائي إلى الذي أحمل لقبه بكل افتخار،إلى الذي أنار لي دربي،إلى الذي كان له الفضل في تربيتي،بعد الله عز وجل" أبي الغالي"حفظهما الله لي إلى زهرات البستان إلى فاكهةالبيت إلى عطرالجِنان إلى أخواتي:

" خولة ، صحوة ، تسنيم "إلى أخي العزيز" منصف "

* والى كل من أجدادي ،وأخوالي ،وأعمامي *

*إلى كل أساتذتي الكرام *

إلى طلاب العلم الذين أرجو من الله عز وجل أن ينفعهم بهذا

* أقدم هذا الجهد المتواضع *

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقني وأمدني بالقوة لإنجـــاز هذا البحث أحمده حمدًا كثيرًامباركا فيه، فأول الشكر له سبحانه وتعالى فهو الموفق والهادي إلى كل خير، ثم أتقدم بالشكر الخالص إلـــى الدكتور الفاضل المشرف على هذا العمل:

" **خلفـات مفتاح** " وكل أساتذتي بقسم التاريخ بجامعـة المسيلـة، وإلى كل من ساعـدني فـي إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد .

الرموز و المصطلحات

الرمز	المعنى
ج	جزء
د- ت	دون تاريخ
د- م	دون مكان
د- ن	دون دار نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
/	إشارة بين التاريخين الهجري ومايقابله في التاريخ الميلادي

المقدمـة

1- أهمية الموضوع :

شهدت حضارة المغرب خلال العصر الوسيط عدة نكبات من حروب، فتـــن ومنعطفات مناخية وجوائح طبيعية ، زيادةً على هذا موقعها الجغرافي الذي جعلـــها عرضةً لكثير من الشدائد.

ومما يزيد من خطورة الأزمات الطبيعية،أنها تتفاقم بصورة تلقائية ومفاجئة،ويمتـد أثرها لفترات طويلة ، والحقيقة التي يفترض أن نقف أمامها كثيراً ، كي نَعِيها و نُدركها هي أن بلاد المغرب طيلة القرنيين (7-8هـ /13-14م) رافقتـها أزمات مختلفـة عبـــر القـرون الوسيطة أثرت على كل المجـالات لاسيمـا الاقتصادية و الاجتماعيـــة التي نحن بِصدَد التعرض لها في هذا البحث .

2 - الدراسات السابقة :

أما فيما تعلق بالدراسات السابقة للموضوع ، فلم نستطع العثور على دراسات شاملة تتناول الموضوع في الفترة المحددة ، فقد خصص بعض الباحثين ضمن دراستهم للأزمات الطبيعية فصولا، حيث أفرد **عبد الهادي البياض** فصلاً للأزمات التي وقعت في المغرب والأندلس خلال القرنيين(6-8هـ/12-14م)وفصلا لتأثير الكوارث الطبيعية على الذهنيات(الطقوس الخرافية ، الممارسات السحرية ، الشعوذة والهجرة) كما درس كيفية مواجهة الإنسان للكوارث الطبيعية مُركزاً على الجانب الديمغرافي، مع أنه لم يدرس تأثير الكوارث على الجانب الاقتصادي [1] .

كما عَالَجَتْ دراسة **المغراوي** الأزمات الطبيعية في العهـد الموحـدي كإحـــدى الصعوبات التي كان حضورها في وجه الموحدين مؤثراً سلبياً على تطورها التاريـخي

[1] عبد الهادي البياض : الكوارث الطبيعية وتأثيـرها في سلـوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6هـ- 8هـ /12م-14م) ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت- لبنان ، 2008م.

اضافة الى تخصيصه لفصل كامل حول " الأزمات وانعكاساتها على الدولة والمجتمع" مُبرزاً فيه أهم الأزمات التي حدثت من أمطار غزيرة ، فيضانات ، جفاف ، زلازل وحريق وما نتج عنها من غلاء ، مجاعات ، أمراض وأوبئة[1].

فضلاً عن المقالات التي تناولت موضوع المجاعة والأوبئة ؛ التي تعتبر كجزئية ناتجة عن تأثير الأزمات الطبيعية على المستوى الديمغرافي، وأهمها مقال"المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب"**لحسين أسكان**" ، ذكر فيه دور التخزين في مواجهة الآفات السماوية للتخفيف من حدتها[2].

دون أن ننسى رسالة التخرج **لسمية مزدور**،عالَجَت فيها الأوضاع الاقتصاديةالسائدة آنذاك،وأشارت إلى بعض الجوائح المتسببة في المجاعات أهمها القحـط، الريـاح الأعاصير،كما ذكرت بعض الحلول المستعملة في وقتهم للخروج من هذه الأزمـة[3].

3- سبب اختيار الموضوع:

يعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع لرغبتنا في معرفة الأزمات الطبيعية التي شهدتها بلاد المغرب في العصر الوسيط ، وكيف أثرت على الجانب الاقتصادي والديمغرافي،والنتائج المترتبة عنها،هذا كله جعلنا نخوض غمار هذه الدراسة، فضلاً عن تشجيع أستاذنا الفاضل الكريم" **د ـ خلفات**" مما ولَّد لدَّينا فضولاً ودافعاً للاطلاع على هذا الموضوع .

---

[1] محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع،ط1 ،جذور للنشر، الرباط ،1427هـ/2006م .

[2] الحسين أسكان: المجاعات والأوبئة بين الآفات السماويـــــة والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمـــال المغرب ،المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، العدد4، أكتوبر، بنمسيك ،2004م، ص133-151 .

[3] سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م) ، رسالة الماجستير،كليـة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة،1429 -1430هـ/2008-2009م .

4 ـ إشكاليةالدراسة:

يشكل موضوع البحث أهمية كبيرة وهذا من منطلق ما يُطرح:

* ما مدى تأثير الأزمات الطبيعية على الجانب الاقتصادي و الديمغرافي؟

ويمكن تقصي الإشكالية الرئيسية إلى الإشكاليات الجزئية الآتية لتيسير الفهم :

*ما طبيعة وأنواع الأزمات التي شهدتها بلاد المغرب خلال العصر الوسيط؟

*وكيف أثَّرت هذه الأزمات على البنية الاقتصادية و الديمغرافية ؟

*ما الطرق المتخذة لمواجهة آثار هذه الأزمات؟وهل نجحت في التخفيف من حِدتها؟

5 ـ عرض الموضوع :

بعد نهلنا للمادة العلمية من مشاربها وما استقيناه مما توفر لديَّنا من مصادر ومراجع، ارتأينا تقسيم بحثنا إلى مقدمـــة و ثلاث فصول و خاتمـة للوصـول إلى حـل للإشكال المطروح الذي سبقنا الإشارة إليه .

استهللنا دراستنا بمقدمة:تدرجنا فيها منهجياً بدءاً بالتعريف بأهمية الموضوع والإشارة للدراسات السابقة له ، والسبب الذي دفعنا لاختياره، ثم عرض الخطة والمنهج المتبع الذي هوسبيل الوصول للنتائج المنشودة ، وذكرالمصادر والمراجع المعتمدة مع نقدها ، إضافة إلى الصعوبات التي إعترضتنا لإنجاز هذا البحث .

*الفصل الأول: كان بعنوان" ماهية الأزمات الطبيعية وأنواعها" ، تطرقنا فيه إلى التعريف بمصطلح الأزمة لغـة وإصطلاحـاً ، وأنواعهـا المتمثلة في الجوائـح الطبيعية (الزلازل،الجراد والحرائق) والمنعطفات المناخية التي تشمل (القحط والجفاف الأمطار والسيول ، الثلج والبَرَد، الأعاصير والرياح) محاوِلين الإلمام بكل الأزمات التي ظهرت في القرنين(7-8هـ/13-14م).

*أما الفصل الثاني: جاء تحت عنوان"تأثير الأزمات الطبيعية على بلاد المغرب" وقـد عالجنا فيه تأثيرها على البنية الاقتصادية في قطاعها الزراعي والصناعي والتجـــاري وما خلَّفت من أضرار على الثروة الحيوانية ، وأما تأثيره على البنية الديمغرافية عمـت المجاعة والأوبئة ،وانتشرت ظاهرة الحرابة والتسول، كثرة الوفيات والهجرة،هذا ما جعل سلوك الإنسان المغربي وذهنياته تتأثر بهذه الأزمات كسبيل للوصول إلى حل للخلاص منها، وبالمثل عالجنا في الفصل الثالث الذي عَنوناه بـ "طرق مواجهة آثـار الأزمـات الطبيعيـة" ، أهم الطرق التي استعملهـا المجتمع المغربي للحَـد أو التخفيف من هـذه الظواهر متدرجة تحت عنوانين ، الأول: "الطرق الإجرائية"(كتخزين المياه زمن الجفاف بناء الجسور والقناطير أيام الفيضانات والأمطار الغزيرة ، وادخار الأقوات و الاقتصـاد في الاستهلاك أيام المسغبة– المجاعة–، وتقديم المساعدات والهبات) ، أما العنـــوان الثاني:الطـرق الإستمدادية(الدعاء والاستسقاء،الصدقات والكرامات، الطقوس السحريـــة والخرافية) وصولاً إلى خاتمـــة ضمت مُجمل الاستنتاجات و الحوصلات المستخلصـة من الفصـــول والإجابة عن التساؤلات .

6 ـ المنهج :

اعتمدنا في بحثنا هذا على منهجية علمية قائمة على المناهج التالية:

التاريخي"الاستقرائي"و"التحليلي"وهذا من خلال تحليل النصوص التاريخية التي قرأنـاها والمستقاة من مصادر متنوعة ومراجع ، كما اعتمدنـا على "المنهـــج الوصفي" في وصف بعـض الحالات التي كان يعيشها المجتمع أيـام الأزمـــات ، ضِّف إلى ذلك طبيعـة الموضـوع فرضت عليّناَ إتباع" المنهج الإحصـــائي"مُتَبِعين في ذلك رصد تلك الكوارث وعرضها في جداول مختلفة واستخدمنا المنهج الاستنتاجي في الخاتمة.

7ـ **الدراسة النقدية للمصـادر والمراجع:** اعتَمَدَتْ الدراســة عبر مختلف فصولــها ومباحثهــا على جملة من المستندات المصدرية (دون أن نجد واحداً منها متخصصاً) والمرجعية، تباينت في طريقة عرضها للحدث الخاص بعنوان بحثنا والتي نذكر منها :

***المصادرالتاريخية:**

ـ بن أبي زرع(كان حياً726هـ):"الأنيس المطرب بروض القرطاس"[1] يُعد من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها للمــادة التي يحتويها ، وظفنـاه في الفصـلين الأول والثــاني بشكل كبير؛ لتعرضه لأنواع الكوارث وتأثيرها على الجانب الديمغرافي.

ـ ابن خلدون(ت808هـ):"مقدمةابن خلدون"يحتوي على معلومات هامة عن المجاعات التي أَفْرَدَ لها فصلاً في مقدمته[2].

ـ السلاوي(ت1315هـ):"الاستقصاء" استفدنا منه في فصولنا الثلاثة خاصــة الفصلين الأولين؛ حيث ذكر أهم الأزمات الطبيعية والمنعطفــات المناخية التي حدثت في بــلاد المغرب، كما أشار إلى أحد الطــرق الإستمدادية المتمثلة في دعاء الاستسقــاء، الذي استفدنا منه في الفصل الثاني[3].

*** كتب النوازل الفقهية :**

ـالونشريسي(ت914هـ):"المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلــس والمغرب " يعتبر كتاب هام لِماَ احتواه من مادة علمية ، استفدنا منه في كل فصولنــا بنسب

[1] ابن أبي زرع الفاسي علي بن عبد الله: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريــخ مدينة فاس، دط ،صور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1972م .

[2] ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد(ت 808هـ):مقدمة ابن خلدون،إعتناء ودراسة أحمد الزعبي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001م .

[3] السلاوي الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية ، تحقيــق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري،دط ،دارالكتاب، الدار البيضاء– المغرب،1954 م،ج1 .

متفاوتة خاصةً في الفصل الثاني المُندَرِج تحت عنوان "تأثير الأزمات "[1].

***كتب التراجم والطبقات:**

ـ الذهبي(748هـ):"سير الأعلام"،استفدنا منه في الفصل الثاني؛ في التعريف ببعض الأعلام التاريخية التي كانت معاصرة لأحداث (ق7-8هـ/13-14م)[2].

ـ ابن القاضي:"جذوة الاقتباس"،استفدنا منه في الفصل الثاني،في عنصر المجاعة التي حلت بفاس سنة637هـ/1239م [3].

***كتب الرحلات والجغرافيا :**

ـ العبدري (ت720هـ): "الرحلة المغربية"،ضمت رحلته معلومات مهمةعن الجفاف والقحـط الذي حلَّ بمدينة تونس؛لَماَّ مرَّ بها، استخدمناه في الفصل الأول[4].

ـ الوزان(ليوالإفريقي)(كان حياً893هـ):"وصف إفريقيا"[5]،استفدنا منه في شرح بعض الأماكن الجغرافية في الفصل الثاني والثالث بنسب متفاوتة .

---

[1] الونشريسي أبي العباس احمد بن يحي (ت914هـ) :المعيار المعرب والجامـــع المغرب عن فتــاوى أهل افريقيــة والأندلس والمغرب،خرجه جماعة من الفقهاء محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية،الرباط ، 1401هـ/1981م، ج1 .

[2] الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م):سير أعلام النبلاء،حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط و أكرم البوشي ،ط2 ،مؤسسة الرسالة،بيروت،1404هـ /1984م،ج16 .

[3] بن القاضي المكناسي أحمد(960هـ-1025هـ):جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، د ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1973م،ج1.

[4] العبدري محمد البلنسي (ت720هـ) : الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، ط1 ، منشـــورات بونــة للبحــوث والدراسات ، بونة ،1428هـ/2007م .

[5] الوزان الفاسي الحسن بن محمد:وصف إفريقيا، ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان،1983م ، ج2 .

***كتب المراجــع :**

ـ محمد المغراوي:"الموحدون وأزمات المجتمع" استفدنا منه في الفصول الثلاثة بشكل متفاوت رغم تركيزه على الجانب السياسي؛ حيث وضح تأثير الكوارث الطبيعية في إضعاف قوة المرابطين أمام الموحدين [1].

ـ عبد الهادي البياض:الكوارث الطبيعية ، يُعد كتاب مهم لِما تضمنه من معلومات ، جعلتنا نستفيد منه كثيراً في كل الفصول،غير انه ركز على الجانب الاجتماعي فقط[2].

***المعاجم و القــواميس :**

ـ ابن منظور(ت711هـ):كتابه"لسان العرب"،استفدنا منه في الفصل الأول؛ في التعريف بمصطلح الأزمة وبعض المصطلحات مثل(القحط ، الشدة ، الجائحة ، الكارثة...)[3].

ـ محمدعمارة: "قاموس المصلحات الاقتصادية" أفادنا في شرح بعض المصطلحات ، مثل مقاييس وموازين القمح (القفيز ، المدَّ..) استعملناه في الفصل الثاني كثيراً[4].

***صعوبات البحث :**

واجهتنا في هذه الدراسة عدة صعوبات يمكن إيجازها في :

1ـ شح المادة العلمية بخصوص هذا الموضوع ، وإن توفرت كانت في شكل شــذرات مبعثرة هنا وهناك ، اكتفت مختلف النوازل الفقهية وكتب الرحلات والجغرافيا، بذكرها بطريقة رتيبة وسريعة في شكل تواريخ وأحداث .

2ـ مسألة الأرقام تظل قائمة ؛ لا تُعطي أرقاما تتعلق بعدد المتضررين من الأزمــات الطبيعية،لغياب العنصرالإحصائي في المصادرالوسيطية، رغم حضور بعض المعطيات

[1] محمد المغراوي : المرجع السابق .

[2] الهادي البياض : المرجع السابق .

[4] ابن منظور(ت711هـ): لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت .

[4] محمدعمارة:قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية،ط1،دارالشروق،بيروت،1413هـ/1993م.

الرقميـة التي تدخل ضمن أدبيـات الوصف مثـل: "هلك خلق كثير" ، " لقـد هلكت أمـم لا تحصى".

3ـ المادة المصدرية نوعـا ما ناقصة ؛ ذلك أن الكتابـــة التاريخيـــة في العصر الوسيـط ظلت سجينة الحدث السياسي،فالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي وما تطرحه من قضايـــا متعددة من ضمنها موضوع الأزمات الطبيعية وتأثيرها، يبقى الحديث عنهاأمرامهمشـاً.

***الشكـر:**

وفي الأخير أتوجه بخالص الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور"**مفتاح خلفات** "الذي خصص من وقته لمتابعة هذا العمل ، وإفادتي بنصائحه و توجيهاته القيمة .

الفصل الأول:

مـاهية الأزمـات الطبيعية و أنواعـها

أولا: ماهية الأزمات الطبيعية (لغة ـ اصطلاحا)

1ـ المفهوم اللغوي للأزمة

2ـ المعنى الاصطلاحي للأزمة

ثانيا: أنواع الأزمات الطبيعية (جوائح طبيعية و منعطفات مناخية)

1. الجـوائح الطبيعيــة:

أـ الزلازل

ب ـ الجراد

ج ـ الحريق

2ـ المنعطفات المناخية:

أـ القحط والجفاف

ب ـ الأمطاروالسيول

ج ـ الثلج والبرَد

قبل التطرق إلى موضوع تأثيرالأزمات الطبيعية على الجانب الاقتصادي والديمغرافي لبلاد المغرب خلال العصر الوسيط لابد من التعريج على مفهوم الأزمات وأنواعها.

أولا: ماهية الأزمات :

1 ـ المفهوم اللّغوي للأزمة:

أصل كلمة الأزمة في اللغة جاءت من ((أَزَمَ – يأزِمُ – أُزومًا– فهو آزم وأَزومٌ: أي عضَّ بالفم كله شديدا)) والمُتأزِم من أصابته أزمة[1] ، أَزَمَتِ السنة: اشتدت والمَأْزِمُ: المضيق، والأزمة: شدة العض،كما يأزم الفرس على فأس اللجام[2] ،ويمكن القول أَزَمَ الدهر علينا وسنة آزمة، تتابعت عليهم الأزمات[3]،ويوافق معنى الأزمة معاني أخرى تدور جميعها في معنى واحد كالقحط فنقول أَزَمَت عليهم السنة: اشتد قحطها والآزمة: الشدة والقحط ، والأزمة: الضيق والشدة[4].

ويتقاطع مع لفظ الأزمة الجائحة التي أصلها السنة الشديدة التي تجتاح المال فيقال أصابتهم الجائحة و أجاحه بمعنى أهلكه بالجائحة[5].

---

[1] الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ):القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت– لبنان ،1426هـ/2005م ، ص 1075 .

[2] الصاحب إسماعيل بن عباد كافي الكفاة (326هـ–385هـ):المحيط في اللغة ، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب ، بيروت– لبنان،1414 هـ/1994م ، ج 2 ، ص107.

[3] الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد(ت 538هـ):أساس البلاغة المحتوى(أبب– غيي)،تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،1419هـ /1998م،ج 1،ص26 .

[4] ضيف شوقي : المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث) ،ط4،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،1425هـ/2004م ، ص16 .

[5] الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت666هـ):مختار الصحاح ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، ط5، المكتبة العصرية ، بيروت– صيدا ،1420هـ/1999م ، ج1، ص63 .

وسنة جائحة: جدبـة[1]، كمـا ورد لفظ الجائحـة بمعنى المصيبة حيث يقول الأزهـري عن أبي عبيد:الجائحة مصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله ، ويدل مفهوم الأزمة على الشدة والمجاعة ، والشدة: صعوبة الزمن والجَوحَة هي الشدة والنازلة العظيمة ويذكر ابن منظور أن للأزمة معنى آخر هو القحط .[2]

2 ـ المعنى الاصطلاحي للأزمة:

لم يكن مصطلح الأزمة واردًا في مصادرالعصرالوسيط حيث عُبِر عنه بمعاني أخرى تتفق مع مفهومه الحالي، فتارة جاء بمعنى"الجائحة"حيث اعتبرالإمام مالك(الريح والثلـج والبَرَد...جائحة)،وأضاف ابن رشدالحفيد(القحط وضده)[3]،أما ابن منظورقال:(الجائحةتكـون بالبرد المُحرق أوالحر المُفرط حتى يَبطل الثمر)[4] ، وعن الشافعي (هي كـل ما أذهب الثمرة أو بعضها من أمر سماوي[5]، بغير جناية آدمي) .[6]

ومنه حديث(أمر بوضع الجوائح)أي بوضع صدقات ذوات الجوائح،على حذف مـا أصيب من الأموال بآفة سماوية لا تؤخذ منه صدقة[7]، ويدخل في مصطلح الأزمـة "القحط" الذي يقصد به احتباس المطر وشدة الجدب حيث قال شَمِرُ:(قحوط المطر أي احتباسه وهومحتاج إليه) ، كما يتوافق معنى الأزمة مع مصطلح"الشدة":التي يقصد بها

---

[1] الصاحب إسماعيل: المصدر السابق ،ج 3 ، ص143 .

[2] ابن منظور: المصدر السابق ، ص719 .

[3] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص18 .

[4] ابن منظور: المصدر السابق ، ص719.

[5] المطرّزي أبي الفتح ناصر الدّين(538هـ –610هـ):المغرب في ترتيب المعرب، حققه محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، ط1 ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب –سورية،1399هـ/1979م ، ج1، ص267.

[6] ابن منظور: المصدر السابق ، ص 719 .

[7] المطرزي :المصدر السابق ، ج1 ، ص267 .

المجاعة وصعوبة الزمن وكل مكاره الدهر وشدة العيش: شظَفِه[1]،أمافي العصرالحديث فقد تعددت مفاهيم مصطلح الأزمة فهناك أزمة طبيعية ، مالية ، اقتصادية، سياسية.[2]

[1] ابن منظور :المصدر السابق ، ص2215 ـ3536 .

[2] شوقي ضيف : المصدر السابق ، ص 16 .

ثانيا: أنواع الأزمات الطبيعية (جوائح طبيعية ومنعطفات مناخية)

لم تقتصر الأزمات الطبيعية على جانب دون آخر في منطقة معينة ومن هذا المنطلق كانت دراستي للأزمات الطبيعية وفق تصنيف موضوعي(جفاف،جوائح،أوبئة وزلازل،فياضانات،قحط...) قد لا يكون كافيا للوصول الى نتائج مقنعةلأنه ماورد من معلومات في المصادر والمراجع المتحصل عليها خلال الحقبة المدروسة(ق7-8هـ /13-14م) ، كان لايزيد في أكثره عن إشارات للأزمات ونُتف متفرقة ولوائح رقمية أوجداول بيانية لاتسمح بالإلمام بالموضوع[1]،ويمكن تقسيم الأزمات الطبيعيةالى نوعين:

1 ـ الــجوائح الطبيعية:

هي كل شيء لايُستطاع دفعه لوعُلمَ به كالسماوي (البرَد،الحر، الجراد،الثلج،الحرائق والمطر...)[2]، وفي رواية الأزهري[3]، عن الشافعي[4] .

---

[1] محمد المغراوي: المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص10 .

[2] بن رشد القرطبي أبو الوليد بن محمد بن أحمد (520هـ-595هـ): بدايــة المجتهد ونهايــة المقتصد، ط8 ، دار المعرفة ، بيروت- لبنان ،1402هـ/1982م ، ج2 ، ص 187.

[3] الأزهري(ت807هـ):هو العلامة أبو منصور محمد بن احمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغــــوي الشافعي كان لغوي وفقيه وله كتاب تهذيب اللغة والتفسير والروح مات عن 88سنة . أنظر الذهبـــي : المصــدر السابق ، ج16 ، ص316-317 .

[4] الشافعي: هو محمد بن ادريس ابن العباس بن عثمان بن شافع احد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ولد في غـــزة سنة150هـ/767م وكان شاعراً في بادئ الأمر ثم مال الى الفقه ينسب إليه المذهب الشافعي توفي سنة204هـ /820م في القاهرة أشهر تصانيفه الأم ،الرسالة ،المسند . انظر الزركلي خير الدين : الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنســـاء من العــرب والمستعربيـــن والمستشرقيـــن ، ط13 ، دار العلـــم للملايييـــن ، بيـــروت - لبنـــان ،1998م ، ج3 ، ص 152؛ الخطيب مصطفـــى عبد الكريـــم: معجم المصطلحـــات الألقـــاب التاريخية ، ط1، مؤسسة الرسالـــة ، بيروت ، 1416هـ /1996م ، ص167، ابن قنفـــذ القسنطيني بن الخطيب بن العباس أحمد بن حسن بن علي : الوفيات معجم زمنـــي للصحابـــة أعلام المحدثين والفقهـــاء والمؤلفين مـــن سنـــة11هـ/807هـ ، حققـــه وعلق عليه عـــادل نويهض ،ط4 ،دار الأفـــاق الجديـــدة ، بيروت ، 1403هـ /1983م ، ص155؛ الخطيب مصطفى عبد الكريـــم : المرجع السابـــق ، ص167 ؛ ابن قنفـــذ: المصـــدر الســـابق ، الوفيات ، ص156.

أن الجوائح هي كل ماأذهب الثمار أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية آدمي[1]،وتُعَد الجوائح من أهم الأزمات لما يترتب عنها من مجاعات وتتمثل هذه الجوائح فيما يلي :

أ ـ الـــــزلازل:

هي اهتزازات تحدث للقشرة الأرضية وللقسم العلوي نتيجة إنكسارات[2]، وتُعَد الزلازل ضمن الكوارث التي لاتحدث باستمرار بشكل عام وفي المغرب والأندلس بشكل خاص وباعتبار أن المنطقة بعيدة عن خط الزلازل ، وهذا ما لاحظه ابن سعيد مُبكرا ونقله عنه العمري من أن المغرب ((قليل الصواعق والزلازل))[3]، ويذكر محمد المغراوي أنه في سنة600هـ/1204م لم تعرف من الأزمات الطبيعية سوى الزلزلة العظيمة التي عمت بلاد المشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط، وبلغت مدينة سبتة ببلاد المغرب لكن المصادر لم تتحدث عن نتائجها التي يبدو أنها كانت ضعيفة في المنطقة[4].

وفي سنة 605هـ/1208م ضرب مدينة تونس فتعرضت بلاد المغرب لهزات ارتدادية شديدة تركت آثارا سلبية على الإنسان والعمران[5]، ويذكر صاحب الذخيـــــــرة

1 ابن منظور : المصدر السابق ، ص 719 .

2 أحمـد أحمـــد مصطفـــى : سطـــح الأرض دراســـة جغرافيـــة التضـــاريس ، دط، دارالمعرفـــة الجامعيـــة ، الإسكندريـــة ، 2003م ، ص291 .

3 عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 75.

4 محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون و أزمات المجتمع ص165 .

5 المرجع نفسه ، ص77 .

ابن أبي زرع أن تونس تزلزلت 7 مــرات في يــوم واحد[1]، وفي سنة651هـ/1253م يذكــر المــراكشي ((وقعت زلزلة عظيمة في بلاد المغرب اهتزت الأرض بها بمن عليها)) [2]، وضرب مدينة العرائش سنة 672هـ/1274م والغالب أن مركزه كان بحريا[3]، وهناك إشارة من قِبل يحيى بن خلدون الى أن الزلزال العظيم الذي حلَّ بالجزائر في20ربيع الثاني766هـ/1368م قال عنه: ((نعوذ بالله من الخسف وسوء المنقلب))[4].

ب ــ الجـــراد:

الجراد آفة طبيعية خطيرة[5]،على الإنسان والمحصول الزراعي في كل زمان ومكان وكان لها تأثيرا كبيرا في المغرب خلال القرنين(7-8هـ/13-14م) لكثرة عدد أسرابه وهجوماته المفاجئة خاصة أن افضل بيئة لتكاثره واستقراره هي المناطق الحارة[6].

ففي سنتي616-617هـ/1219-1220م وقع هجوم الجراد[7]، وقد توالت على مَزارِع

1 ابن أبي زرع الفاسي علي:الذخيرة السنية في تاريخ الدولةالمرينية،دط ، دن ، الرباط ،1392هـ/1972م،ص44.

2 المراكشي ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتانـــي وآخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، 1406هـ/1985م ، ص402 .

3 عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص77 .

4 يحيى بن خلدون أبي زكرياء بن ابي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن: بغية الرواد في ذكر الملـــــوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبدالحميد حاجيـــات ، طبعة خاصة تلمسان عاصمة الثقافــة الاسلاميـــة ، عالـــم المعرفة، الجزائر، 2001م ، ج2 ، ص149 .

5 كمال السيد أبو مصطفى: دراســـات مغربيـة وأندلسية في التاريخ والحضـــارة ، دط ، مركز الاسكندريـــة للكتـاب ، الاسكندرية - مصر،2007م ، ص131 .

6 عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص63.

7 محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص167.

بلاد المغرب أسراب الجرادعام617هـ/1220م فترك الأشجارعارية،وتكررت هجوماته سنة619هـ/1222م[1]، وسنة624هـ/1227معم الجراد بلاد المغرب واشتد الغلاء[2]، نظرا لقلة المنتوج بحيث قضى على الأخضر واليابس ، والفترة الممتدة مابين625-677هـ/ 1228-1278م على حد قول أبي زرع ؛ أنه لم يَرِد في المصادر ذكر هجمات الجراد إما للقضاء عليها وهذا مستبعد ، أو لانشغال المؤرخين عنها بالكتابات حول الحروب والفتن،وبعد هذه الفترة تعرضت بلاد المغرب لهجمات جراد منتشرة سنة679هـ/1280م حيث أكل جميع زروعها فلم يترك فيها مخضرا[3].

كما أطلق على سنة683هـ/1284م عام الجراد لكثرة هجماته على بلاد المغرب، ثم سادت فترة استقرار دامت ربع قرن، وعاد الجراد من جديد خلال منتصف العقد الأول من القرن 8هـ/14م[4]، ويذكر الونشريسي(ت914هـ) في نوازله أن من اكترى أرضا فأمطرت حتى هلك الزرع أو أتى الجراد فعَلِم الناس أنهم لإن زرعوا شيئا أكله الجراد فامتنعواعن زراعتها خوفا منهم أن يُزرَعَ غيرها فيأكلها الجراد مجددا ، وهذا ما جعل المجاعة تزيد في هذه الفترات وكَثُرَتْ الأمراض[5].

وقد ذكر علماء الزراعة والأغذية أن من أخطر أنواع الجراد هو الجراد الصحراوي الذي ينتشر أفقيا من الهند الى المغرب ، وعمودياً من سواحل البحر الأبيض المتوسط الى خط الاستواء ، وفي الغالب ينتشر هذا النوع في شمال إفريقيا خلال فصل الربيع[6]

---

[1] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 16.

2 السلاوي: المصدر السابق ، ج1 ، ص311 .

3 ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص408 .

4 عبدالهادي البياض: المرجع السابق ، ص68 .

[5] الونشريسي :المصدر السابق ، ج1، ص164 .

[6] خالد بلعربي: المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698هـ-845هـ)/ (1299 م-1442م)، دورية كان التاريخية ، العدد الرابع ، يونيو، 2009م ، ص21.

ووصف ابن الخطيب هذه الجائحة الطبيعية ((تعاجل حلاق لمم النبت فصيرت وجه الأرض كمطارح خبث الحديد أما مضارب البيد يبساً وقحلاً))[1] .

وما يمكن الإشارة إليه، أن آفة الجراد لم تتحدث عنها كثيرا الكتب التاريخية خلال العهد الموحدي والمريني لاهتمامهم بالأحداث السياسية، هذا بالإضافة إلى الظروف المناخية الباردة غير الملائمة لتكاثره ؛ لأن الأمطار الربيعية تُتلف بيضه وأن الجراد المهاجر إذا اعترضته الرياح يحول اتجاهه صوب البحار وبالتالي لا يحدث خسائر للمحاصيل والنباتات ، كما تعرضت بلاد المغرب والأندلس سنة754 هـ/1353م لهجمات الجراد، ونظراً لكثرته في وقت المجاعة اضطر الناس لجمعه لغرض الاستهلاك والادخار بعد تجفيفه[2].

ج ـ الحرائق:

تعتبر الحرائق من الظواهر البارزة في معظم النظم البيئية، وبدأت إما بفعل الانسان وسوء تصرفاته أو بفعل العوامل الطبيعية التي زادت من حجمها وآثارها .

شهدت مدينةمراكش في العهدالموحدي حريق مهَوِل بقساريتها سنة607هـ/1210م أتى على بضائع التُجاروأمتعتهم؛ نظرًا لماحتوته القيساريةمن مرافق ودكاكين ومخازن[3] وفي هذه السنةكان الحريق الشائع الضرر بقيسارية[4] مراكش وماتصل بها من مناطق مجاورة ،في ليلةالخميس13جمادى الأولى بعد أن آوى السكان الى مضاجعهم، انتشرت النار في العيدان اليابسة وشفوف الثياب وأسرعت كالشهاب في سقف الأسواق وعَلَتْ

[1] ابن الخطيب لسان الدين(ت713-776هـ)/(1313-1374م):نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تقديم وتحقيق السعدية فاغية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء-الرباط ،1409هـ/1989م ، ج3 ، ص61 .

[2] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 178 ـ 189 .

[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص257ـ 258 .

[4] القيسارية: وحدة تجارية ضخمة تم بنائها580هـأمر بعمارتها المنصور الموحدي585هـ/1189م.انظرمحمد رابطة الدين:اعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولةعبرتاريخ المغرب الجلسةالرابعة التجارة بالمدن قيساريةمراكش الموحدية، دط، كلية الآداب والعلوم الانسانية ،عين الشق ـ الدار البيضاء،1409هـ/1989م،ج2، ص7ـ 11 .

أصوات الناس وازداد ضجيجهم حتى سَمِعَ الناصر لدين الله وخرج مسرعا من قصره وصعد الى صومعة الجامع المتصل به فعَاين أمرًا لا مرد له[1].

ومن القرائن التي تبين أن هذا الحريق طبيعيًا، كونه أنه كان في فصل الصيف وأن مدينة مراكش تشهد حرا شديدًا خلاله، بالإضافة إلى كون المدينة تجارية بها كل المواد بما فيها القابلة للاشتعال(كالكبريت وغيره) ، من باب الافتراض ان التفاعل بين هذه المواد أدى الى الاشتعال وزاد هبوب الرياح في تأجيجها وانتشارها[2]، بدليل ما ذكره ابن عذارى بقوله ((وأمد النار احتدام الهواء وموافقة زمن الصيف))[3]

وفي سنة646ه/1248م شبَّ حريق في مدينة فاس، أتى على أسواق المِهن فاحترقت حارة باب السلسلة باسرها الى حمام الرحبة[4]، وفي سنة723ه/1323م كان الحريق في نفس المدينة بسوق العطارين، ومما يلاحظ أن هذه السنة وما بعدها تمثل سنوات كارثية بامتياز، وأن للقحط دوراً في حدوث هذه الحرائق وتزامنها مع فصل الصيف وهبوب الرياح الشرقية على المنطقة[5].

2 ــ المنعطفات المناخية :

للظروف المناخية دور كبير في حياة المجتمع المغربي، حيث كان في صراع دائم مع الطبيعة ،التي عُرِفت بتقلباتها بين العطاء والشح تبعا لوفرة الأمطار أو قِلتها

[1] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 71 .

[2] نفســـــه ، ص71.

[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ، قسم الموحدين، ص258.

[4] السلاوي: المصدر السابق ،ج1 ، ص311.

[5] عبد الهادي بياض: المرجع السابق ، ص73.

فإذا جادت السماء زرع الناس، واذا حدث الجفاف بطل المحصول[1]، وتتمثل هذه المنعطفات فيما يلي:

أ ــ القحط والجفاف:

تعتبر ظاهرة القحط من أخطر الظواهــر المناخية ،لأن فترتها قد تطـــــول الى سنـــوات مع تكرارها[2]، ومما يزيد في خطورتها اعتماد أغلب السكان على المحصـــول الزراعـــي والذي يتحكم الماء في كميته .

شهدت بلاد المغرب والأندلس خلال العقد الأول من القرن7هـ، موجات جفاف أدت الى مجاعة أَلَّمَت بالمغرب عام607هـ/1210م وانتقلت تأثيراتها الى الأنـدلس علـــى مدى سنتين[3]، وامتدت موجـــات القحوط 614هـ/1217م الى638هـ/1240م[4]،حـيث بلـغ عدد فترات الجفاف5 مرات خلال35 سنة أي بمعـدل قحط كل7سنوات، وخـــلال الربـع الأول مـن القرن7هـ تجددت القحـوط بالعـدوتين[5] ، وتـزامـن هـذا مع الجـراد خــلال 616-617هـ/1219 -1220م فتسبَبَ في مجاعة حادة[6] ، كما أشار مؤلِفِي رسائــل موحدية أن في سنة 618هـ شهدت بلاد المغرب وإسبانيا قحط ومجاعـــة[7]. وألَّم أيضـــا بمدينة مراكش620هـ/1223م[8]، وبعدهـــــا في سنـة624هـ/1227م لـم تستقــر الأوضــاع أكثـر من سنة وعاود القحط والغلا[9].

---

[1] طه جمال: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين ، ط1 ، دار الوفاء الدنيا للطباعة و النشر ،الاسكندرية- جمهورية مصر العربية ، 2004 م ، ص364 .

[2] عبد المجيد القـــــدوري: ابن أبي محلى الفقيـــه الثائـــر ورحلتـــه الإصليت الخريـــت ، دط ، منشـــورات عكـــاظ ، الربـــاط ، 1411هـ /1991م ، ص23.

[3] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص259.

[4] عبد الهادي بياض: المرجع السابق ، ص26 ـ 27.

[5] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص264.

[6] محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص167 .

[7] مجموعة كتـــاب: رسائل موحدية مجموعـة جديـــدة دراسة وتحقيق أحمد عـــزاوي ، ط1 ، مطبعـة النجـاح الحديثة ، القنيطرة ، 1422 هـ/2001م ، ج 2 ، ص186.

[8] عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص27 .

[9] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص328- 330 .

ومما يجدر ذكره أن أغلب الكوارث الطبيعية بعضها ينتج من بعض أحيانا،وتتزامن من أحيانًا كثيرة[1]، وقدعرفت مدينة مراكش قحط شديد632هـ/1234م ثم تَلتْهُ فترة أمطارغزيرة كانت سببا في تفشي الوباء ورداءة الهواء[2]، وخلال الربع الأخير من القرن 7هـ/13م تعرضت بلاد المغرب لفترات من القحوط تزامنت مع هجمات الجراد سنة 679هـ/1281م[3]، واستمرت من687-690هـ/1288-1291م ،بحيث لم ينزل المطر إلا في شهر أفريل من نفس السنة[4]، حسب رحلة العبدري أن مدينة تلمسان سادها جفاف وقحط في سنة688 هـ/1290م فلا يمكن أن ترى في أرجائها للظمآن ماء [5].

أما في سنة711هـ/1313م تعرضت بلاد المغرب لقحط شديد، فاستسقى الناس في يوم 24شعبان من نفس السنة[6]، وفي عهد السلطان المريني أبو سعيدعثمان 724هـ/1323م حل بها جفاف[7]، وفي أواخر ربيع الاول763هـ/1361م يذكر بن خطيب((وانتهى أمر السنة الشهباء الاضحائية...مُمسِكَةً شحًا))[8]،أما ابن بطوطة من خلال رحلته وإقامته في مدينة تلمسان ثم مليانة ، ذكر انها كانت تعاني من شدة القيظ (الحر) والتقى بالفقيهين الشيخ الصالح أبو عبد الله الزبيدي وقاضي تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي النفـزاوي، واشتد بهما المرض فمكثوا بها 10ايام

[1] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص28 .

[2] ابن عذارى المراكشي: المرجع السابق ، ص 345 .

[3] السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص89 .

[4] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص408 .

[5] العبدري : المصدر السابق ، ص 27 .

[6] السلاوي: المصدر السابق ،ج3 ، ص 178 .

[7] سعيد بنحمادة : الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية،ط1،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،2013م،ص120.

[8] ابن الخطيب : المصدر السابق، نفاضة الجراب ،ج3 ، ص 61 .

وتوفي القاضي في اليوم الرابع[1]، كما يذكر أيضا التنبكتي(ت963هـ)أن بجايةأصابها جفاف مما جعل بالحرالي (ت637هـ)يتصدق على الفقراء بالماء[2]،أما مدينة تونس حسب رحلة العبدري كان ماؤها قليل وفي ديارها مصانع لماء المطر[3]،ويذكر ابن أبي زرع أنه كانت ببلاد العدوة (المغرب والأندلس) قحوط كثيرة عظيمة فنفذت المياه[4].

ويكون الجفاف خطيراً اذا استمر سنتين أو ثلاثة سنوات أو أكثر، فتُصبح الكارثة وترتفع الأسعار وتَقِل المؤن والمدَخرَات، أما إذا كان الجفاف سنة واحدة قد لا يكون خطيرًا ولا تحدث بسببه مجاعة لأن الناس يكونوا قد دخروا أقواتهم[5]،وفي المناطق شبه الصحراوية والجافة التي تمتد وراء سلسلة الاطلس تعاني هي الأخرى من الجفاف وخصوصياتها المناخية سوف تُؤثر على نمط عيش السكان وعلى كثافته الديمغرافية[6].

ب ــ الأمطـار و السيـول:

إذا كانت السماء تبخل بمائها سنين فيشتد القحط ، فإن في المقابل تجـود في سنيـن أخـرى في شكـل أمطـار غزيـرة مؤديـة إلى فيضانـات

---

[1] ابن بطوطة اللواتي الطنجي شمس الدين بن عبد الله محمد :تحفة النظار في غرائب الامصـار وعجـائب الأسفـار المسماة رحلة بن بطوطة ، قدم له وحققه ووضع خرائطـه وفهارسه عبد الهادي التـازي ، أكاديميـة المملكـة المغربية، الرباط ،1417هـ/1997م ، ج1 ، ص158 .

[2] التنبكتي احمد بابا(ت963هـ/1036م):نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم واشراف عبدالحميد عبد الله الهرامـة وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الاسلامية ، ط1، كليـة الدعـوة الإسلامية ، طرابلس ،1398هـ/ 1989م ، ج 2 ، ص 320 .

[3] العبدري : المصدر السابق ، ص 69 .

[4] جودت عبد الكريم يوسف :الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خـلال القرنين الثالث والرابـع الهجريين(9م ـ10 م) ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ـ الجزائر،1992م ، ص 354 .

[5] احمد السعداوي : المجاعات و الاوبئة في تاريخ الغرب الاسلامي الوسيط النتائج الديمغرافية ،الديمغرافية التاريخية في تونس و العالم العربي ، دار سراس للنشر، منوبة ،1993 م ، ص 31 .

[6] نفسـه ، ص 29 .

عـــــارمة[1]، وبالتـــــالي يزيـــد منسوب الميـــاه في الأنهار ليفـوق مستوى ضفافـــه محدثة آثـــــاراً وخيمة .

لم تكن مدينة فاس وسكانها في وضع تحسد عليه لِمَا أصابها من فيضان واديها 626ه/1229م[2]، ومن أهمها وادي فاس وهو نهر كبير يأخذ مياهه من عيون تسمى صنهاجة،ويصب في وادي سبو[3]،ومما عُرِف عن هذه المدينة أن أمطارها غير منتظمة في أوقاتها أو تواليها فقد تسقط أيامـًا وشهورًا وتتوقف عامًا أو أعوام متصلة ،وبالتالي تظهر أهمية الأنهار،وبما أن المدينة مجاورة للجبال فهذا يجعلها تتلقى كمية معتبرة من الامطار فنهر سبو ينبع من جبال صنهاجة[4].

أما مدينة مراكش632ه/1235م عرفت أمطارا غزيرةً متوالية دون توقف بعدالجفـاف والقحط الذي اعتراها واعتلى الطين المنطقة[5] ، ونتيجة للرياح التي دامت50يومـاوليلـــة نزلت أمطارا شديدةأدت الى فيضان الوديان فهدم وادي فاس باب السلسلةوفتقت جزيـرة ميلة وأكل البحرطنجة حتى إلى الجامع وهذاسنة653ه/1256م[6]، ويذكر ابن أبـي زرع أن الأمطار التي سقطت674ه/1275م حالت دون عبور المرينيين لبلاد الأندلـس، وأن السيول الجارفة التي كانت بسبب الأمطارالعاصفةالتي ألمت بتامسنا677ه/1278م فإنها منعت الجيوش المرينية لمواصلة الجهاد في الأندلس بقيادة يعقوب بن عبد الحق[7].

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 455 .

[2] الحسين بولقطيب :جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين ، دط،منشورات الزمن،الدار البيضاء،2004م،ج4،ص61.

[3] الحميري محمد بن عبد المنعم :الروض المعطار في خبر الاقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة،حققه إحسان عباس ،ط1،مكتبة لبنان ، بيروت ـ لبنان ،1975م ، ص 434 ـ435 .

[4] جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين(448هـ/1056م-668هـ/1269م)، دراسة سياسية وحضارية ، دط ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية ،2001م ، ص204 .

[5] ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص315 .

[6] البيذق أبي بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، د ط ، دار المنصـــــور للطباعة والوراقة ، الرباط ،1971م ، ص53 .

[7] ابن أبي زرع :المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص419 – 431.

توالت الأمطار والسيول،ولم تزل الأنواء تهطل لاتتوقف ليل نهار[1]،حيث شهـــدت بلاد المغرب في722هـ/1322م سيولًا متفاوتة الخطورة وحدثت اضطرابــات وتقلبــات مناخيــة ببعض المدن الداخلية قطعت الاتصال بين المدن ، وفي سنة723هـ كـــانت أمطـــــارا عظيمة ،[2] أما سنة 724هـ يذكر السلاوي أنه نزل مطـــر وابل جـــاءت منه السيـــول الطامية[3]، وفي سنة 725هـ/1325م من ليلة26جمادى الأولى دخـــل سيل عظيم مدينــة فاس كاد أن يهلكها[4].

كشفت مصادرتاريخية نصوص جاء فيها،ذكر فيضانات جارفة اعترضت أبي عنـان المريني758هـ/1357م لما توجه لإخضاع قسنطينة وعجز رجاله عن تحويل مجــرى السيول، حيث وصفها النميري قائلا:((أرسل الله المِزن مثقَلةًعشائرها متراكمة أمطـارها مترامیا تیارها))[5]،كما تعرضت بلاد المغرب سنة775هـ/1373م لأمطارشديدة عصفـت به وكان بها اثر كبير في تشَبُع التربة بالمياه وصارت غير صالحة للزرع فيها[6]، يذكـر القزويني ان تيهرت بها كثرة الأمطار والأنداء والضباب وشدة البرد ، وأشار أيضــا أن أعرابيا دخلها وتأذى من شدة بردها فخرج منها الى أرض السودان[7].

ج ــ الثلــج والبَـــرَد:

البَرَد هو إحدى أنواع التساقط الصلب الغزير يكون في شكل كرات جليدية مختلفة الأحجام وتكثر في فصل الصيف والربيع في المناطق المعتدلة ، والشتاء في العـروض

---

[1] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص50 .

[2] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 543 .

[3] السلاوي :المصدر السابق ، ج3 ، ص179 .

[4] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص57 .

[5] النميري الحاج: فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب مصـــدر جديـــد من مصادر تاريخ المغرب الأدبي والحضاري في العصر المرني ، دراسة واعداد محمد ابن شقرون ، ط1 ، دار الغــرب الاسلامي ، بيروت– لبنان ، 1990 م ، ص 258 .

[6] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص58 .

[7] القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد واخبار العباد ، دط ، دار صادر ، بيروت ، دت ، ص 169 .

المعتدلة الدافئة ، أما الثلوج فهي مظاهر التكاثف تحدث نتيجة تجمد بخار الماء حسب انخفاض درجة الحرارة ، والثلج يكون بتساقط بطيء على شكل بلورات سداسية[1].

ذكر صاحب روض القرطاس أنه في سنة723هـ/1323م كانت ببلاد المغرب ثلوج كثيرة فاشتد البرد في مدينة فاس وعَدُم فيها الفحم[2] ، والحطب حتى بيـــــع بأغلـــــى الأثمان[3] ،وفي يوم الثلاثاء13رمضان من نفس السنة بعد صلاة العصر،يذكر ابن أبي زرع أنها هبت رياح شديدة وعواصف أعقبها برَد كثيرعظيم الجرم، حيث يزن الحجرمنه حوالي4 أواني وأقل وأكثر ونزل كثيراً على الجبال فأهلك الحرث والزرع والبشر[4].

بما أن فاس مجاورة للجبال، هذا ماجعلها تتلقى الكثير من الثلوج والأمطار[5]، وفي سنة13رمضان724هـ، يشير السلاوي أنه نشأ خارج فاس برَد بكميات كبيـــرة فأحـــدث خراباً في المزروعات من الكروم والزيتون الموجودة في جبل زالـغ[6].

أما في إحدى نوازل الونشريسي يذكر أنه، إذا توالى القحط حتى عَلِم ان الزرع لو سَلِمَ من الصِّر(البرد الشديد) الرفيع لأهلكه القحط ، لأن الصر لا يلحق الضرر أكثر من القحط الذي يأخذ بكل شيء وبالتالي فالكراء عنه ساقط[7]، ويعتبر ابن منظور((أن الجائحة تكون بالبرَد ، يقع من السماء إذا عَظُمَ حجمه فكثر ضرَرُه))[8].

---

[1] بيار جورج: معجم المصطلحات الجغرافية ، ترجمة حمد الطفيلي ومراجعة هيثم اللمع ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1422هـ /2002م ، ص 238 .

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص413 .

[3] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص 179.

[4] ابن أبي الزرع: المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 413 .

[5] جمال أحمد طه: المرجع السابق ، ص20 .

[6] السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 179 .

[7] الونشريسي : المصدر السابق ، ج8 ، ص166.

[8] ابن منظور : المصدر السابق ، ص719.

د ــ الأعـاصير والريــاح:

يُعد الهواء عاملاً أساسيًا في حياة الإنسان ، إذ يساهم بطريقة غير مباشرة في توزيع المدن، بحيث تعتبر الرياح والأعاصير أشد الظواهر المناخية اضطراباً وعنفاً تُسَبِب في الدمار والخراب إذا طال وقتها .

لقد تسببت الرياح العاصفة بتونس ، في إغراق الأسطول الذي كان ينقل السلطان "أبو الحسن المريني"وعائلته فخلفه ابنه أبو عنان المريني[1]، وتعرضت مدينة فاس سنة 653هـ/1255م لرياح شديدة دامت50يومًا بلياليها ، ولم تتوقف وأحدثت خرابًا[2]، ويذكـر ابي زرع أن الرياح المتوالية التي ألَّمت بتامسنا[3] في677هـ/1278م حالت دون وصول الجيش المريني الى الأندلس بقيادة يعقوب بن عبد الحق[4].

وفي سنة16ذي القعدة722هـ/1322م هبَّت على مدينةفاس رياح شديــدة[5]،وشملت مدينةمكناسة ، رباط ، تازة وأحوازها واستمر هبوبــها يومين بليلتيهما تسببت في تعطيل الأسفاروخربت الدياروتوالت الرياح على مدينة فاس،في سنة13رمضان723هـ/1323م بعد صلاة العصر[6]،أما السلاوي يذكر أنها وقعت في13رمضان 724هـ/1324م [7] .

واثناء توجه السلطان أبي عنان المريني في سنة758هـ/1357م بجيشه لإخضاع

---

[1] عبد الهادي البياض : المرجع السابق، ص 54 .

[2] البيذق: المرجع السابق ، ص52- 53.

[3] تامسنا ((إقليم ببلاد المغرب)) هوأقصى أقاليم مملكة فاس من ناحية الغرب يبتدئ عند أم الربيع ويمتد نحــو الشرق الى إقليم أبي رقراق ، يحدها شمالا جبل طارق وجنوباً تلال الاطلس الكبير انظــرالحميري: المصــدر السابق ، ص129؛ لمارمول كربخال:افريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون ، د ط، دارالمعرفــة للنشر، الرباط ، 1984 م ، ج2 ، ص126 .

[4] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص54 .

[5] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص179 .

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص412-413 .

[7] السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 179 .

قسنطينة لسلطانه، اعترضته رياح وأعاصير هوجاء، حالت دون مواصلة السير مما اضطر إلى مغادرة المكان[1] ، أعطي النميري وصفا دقيقا لهذه الكارثة قائلا ((وترامت أيدي الرياح بكل عارض غيداق،مراسل شقاشق أرعاد وأبراق))[2].

كما تعرضت المناطق الغربية من المغرب في ربيع الأول763هـ/1361م لهبوب رياح عاصفة قادت سحب قاتمة تسببت في سقوط الأمطار فسالت الأرض[3]،كما يذكر القزويني ان قرية أَجَرُ قرب القيروان من عجائبها أن الرياح العاصفة دائمة الهبوب بها فلا تخلو من الريح العاصف[4]، ويُعرف بيار جورج أن هذه الأعاصير تنتج عن تحرك الهواء البارد أفقيا بواسطة كتلة هوائية دافئة رطبة ومتحركة[5].

[1] عبد الهادي البياض: المرجع السابق،ص57 .

[2] النميري الحاج: المصدر السابق ، ص259 .

[3] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص58 .

[4] القزويني : المصدر السابق ، ص139 .

[5] بيار جورج : المرجع السابق ، ص 63 .

الفصل الثاني:

تأثيـر الأزمــات الطبيعية على بلاد المـغرب

أولا: تأثير الأزمات الطبيعية على البُنية الاقتصادية

1. القطاع الزراعي
2. القطاع الصناعي و التجاري
3. الثروة الحيوانية

ثانيا: تأثير الأزمات الطبيعية على البُنية الديمغرافية

1. المجاعة و الأوبئة
2. الحرابة و التسول
3. كثرة الوفيات و الهجرة
4. التأثير على الذهنيات و السلوكيات

لاشك أن الأزمات الطبيعية التي شهدتها بلاد المغرب خلال القرنين (7هـ-8هـ/13م-14م) بمختلف أنواعها،سواء كانت جوائح طبيعية أو منعطفات مناخية ، كان لها تأثيرات بليغة على البُنية الاقتصادية والديموغرافية.

أولا- تأثير الأزمات الطبيعية على البنية الاقتصادية :

تسببت الأزمات الطبيعية التي تعرضت لها بلاد المغرب في إلحاق أضرار كبيرة بالجانب الاقتصادي سواء في قطاعه الزراعي،الصناعي،التجاري أوالحيواني،فكان لها تأثير مباشر على المنتوج ، وارتفاع الأسعار، وفقدان السلع ، وهلاك الحيوانات.

1- القطاع الزراعي: نتج عن الأزمات الطبيعية أضرارا كبيرة نذكر منها:

ففي سنة605هضربت الزلزلة تونس سبع مرات في اليوم الواحد وأحدثت خرابا في الأراضي الزراعية[1]، وفي عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني(ت791هـ)أصاب تلمسان سنة617هـ/1220مجاعةعظيمة عاشها يحيى بن خلدون(ت780هـ)،ووصفها أنها نتجت عن إعصار عظيم هلك الزرع بتلمسان...فأكل الناس بعضهم بعضا[2].

أما بخصوص الجراد فقد داهم بلاد المغرب سنة624هـ/1228م فأتى على المحاصيل الزراعية بجميع أنواعها فارتفع القمح والمواد الغذائية الأخرى وتكرر قدومه سنة630هـ/1232مفنقصت الغلات[3]، ووصف ابن الخطيب(ت763هـ)هذه الكارثةبقوله ((تعاجل حلاق لمِمْ النَّبت فصِيرَت وجه الأرض كمطارح خبث أمام مضارب البيد يبْسا وقحْلا وعقرا للأرجل وعصيانا على السنابك وأحرقت ما كان قد نجم من باكر البـــــذر

[1] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، الذخيرة السنية ، ص44 .

[2] مختارحساني:تاريخ الدولة الزيانية(الأحوال الاقتصاديةوالثقافية)،منشورات الحضارة،الجزائر،2009م،ج 2،ص59.

[3] خالد بلعربي: المرجع السابق ، ص 61 .

ونشظ النبات، ودامت فاستأصلت الأوراق من الشجر الدهين الذي لا يسقط))[1]، وفي سنة679هـ/1280م اكتسح الجراد بلادالمغرب فأكل جميع الزروع ولم يترك بهامخضرا.[2]

كما شهدت تلمسان عواصف قوية مصحوبة بالبَرَد،الثلج والجليد فأثرت على الزرع وأفسدت غلاته وأعاقت نمو الخضر والفواكه،وحسب ما رواه ابن مرزوق أن تلمسان أشد بلاد المغرب الأوسط بردا[3]، وأمطارا وتجلدا[4]، ونتج عن الرياح القوية القادمة من الجنوب المغربي إحراق المحاصيل الزراعية فانتشرت المجاعة[5].

وفي690هـ/1291م لم ينزل المطرحتى شهرأفريل وحصد الناس ما حرثوه من الزرع عن أربعين يوما[6]،إضافة إلى ذلك الرياح التي حلت بمدينة فاس سنة722هـ/1322م ودامت يومين تسببت في اقتلاع الأشجار[7]،وبعد عام تسببت السيول العارمة في هلاك جميع ما بزالغ ـ جبل مطل على فاس من الجهةالشماليةـ من كروم وزيتون وشجر[8].

أما بالمغرب الأوسط نزلت أمطار غزيرة أحدثت فيضانات، التي لا يغرب عن بالنا أنها تمنع الحرث والبذر وتتلف المحاصيل[9]، كما تزخر كتب النوازل الفقهية بإشارات حول تضرر الفلاحين من هذه التساقطات الزائدة عن الحاجة ومثال عن ذلك ((سُئِل القاضي أبو عبد الله بن علاف عن رجل اكترى من رجل موضعا فأتى السيل ودخل

---

[1] ابن الخطيب :المصدر السابق ، نفاضة الجراب ، ج3 ، ص 61 .

[2] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 405 .

[3] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 21 .

[4] عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية) ، موفم للنشر، الجزائر 2007 م ، ج 1 ، ص 267 .

[5] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 21 .

[6] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 408 .

[7] السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 179 .

[8] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 413 .

[9] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 20 .

عليه وحمل منه نحو الثلث وعطّل من غلته كذلك))[1].

وفي عام724ه/1324م بمدينة فاس تسببت السيول والأمطار في إحداث أضرار بالأشجار المثمرة من كروم وزيتون وغيرها[2]، وتكرر هذا السيل بعدعام(725ه/1325م) لم تعهد مثله من قبل ، فخرب الجنّات وقلع الأشجار العظيمة[3]، ومما يزيد من خطورة الجفاف اعتماد أغلبية المغاربة على المحصول الزراعي بنسبة كبيرة سواء كانت الأرض بورية أو سقوية لأن الماء هو المحدد الأساسي للكميات المنتجة[4].

وأثرت الحروب والاضطرابات السياسية التي كانت أواخر الدولة الموحدية،على فرار الفلاحين عن أراضيهم الزراعية، سواء كانوا مالكين أومعمرين لهافتحصنوا بالجبال والصحاري كهروب سكان سهل سوس إلى الأطراف،وترتب عن هذاإنخفاض المنتوج[5].

وفي سنة763ه/1361م يذكر ابن الخطيب(ت763ه)أنه بسبب الجفاف والرياح أصبح وجه الأرض يبسا وقحلا واحترق ما ببواكر البذر[6]،كما حدث جفاف في المغرب الأوسط 776ه-778ه/1374م-1376مخلف مجاعات كثيرة فنفذت المؤن والمدخرات وارتفعت الأسعار، وحسب اعتبار خالد بلعربي أن الجفاف إذا استمر ثلاث سنوات فتلك لامحالة هي الكارثة،أما إذا حدث سنة واحدة نادرا ما كان ينجم عنه المجاعة لأن الناس تعودوا على مواجهته بما يدخرونه من أقوات[7]، و من ذلك ما رواه ابن خلدون ((فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر...يقِلّ ويكثر

[1] الونشريسي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 236 .
[2] السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص179 .
[3] ابن ابي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص414 .
[4] عبد المجيد قدوري : المصدر السابق ، ص 23 .
[5] الحسين أسكان: المرجع السابق ، ص147 .
[6] ابن الخطيب : المصدر السابق ، نفاضة الجراب ، ج3 ، ص 61 .
[7] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 20 .

والزرع والثمار والضرع على نسبته إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فُقِد الاحتكار عَظُم توقُعُ الناسِ للمجاعات فغلا الزرع))[1].

ونظرا للأضرار الكبيرة ،التي تسببت فيها الأزمات الطبيعية على الأراضي الزراعية جعلت المجتمع المغربي، يلجأ للفقهاء لكي يصدروا فتاوى خاصة بهذا الوضع.

حيث يذكر ابن رشد(ت520هـ):((إذا توالى القحط حتى عَلِم أن الزرع لو سَلِم من الصَّرِّلأهلكه القحط فالكراء عنه ساقط))[2]، ومن هذه الفتاوى نستنتج أن القحط كان أخطر من الصَّرِّوأن المجتمع المغربي يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى،وهذه الأخيرةمرتبطة بالأمطار التي تُمَكِّن الناس من زراعة الأرض أما إذا حدث الجفاف يبطل المحصول[3].

قال الونشريسي(ت914هـ)في أحد نوازله أن الزرع إذا اجتاحه الفَراش وهلك الغلة وساخ فيها كما يسوخ الجراد، وجب على مكترى الأرض إثبات هذا بالشهود فيسقط الكراء، وقال مالك((في رجل تكارى أرضا فزرعها فنبت الزرع فيها ثم جاء السّيل فذهب به،فقال لا أرى للمكتري أن يُرجِع إلى صاحب الأرض يأخذ منه وإنما ذلك منزلة الزرع التي تصيبه الجائحة))[4]،كما جاء في أحد الفتاوى أن الناس امتنعوا عن الزرع خوفا منهم أن يأتيَ الجراد فيأكل ما يزرعونه[5]، وقتذاك زمن القحط يقل الانتاج وترتفع أسعار المواد الغذائية ،فيحول دون الحصول عليها من قِبل طبقة المحتاجين فتشتد المجاعة وتنتشرالأمراض[6].

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق ، مقدمة ، ص 337 .

[2] بن رشد (ت505هـ) : فتاوى بن رشد ، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ، 1470هـ/1987م ، ج 1 ، ص 1284 .

[3] جمال طه: المرجع السابق ، ص 264 .

[4] الونشريسي: المصدر السابق ، ج5 ، ص237 .

[5] نفسه ، ج8 ، ص 164.

[6] مختارحساني: تاريخ الدولة الزيانية(الاحوال الاجتماعية) ،منشورات الحضارة، الجزائر،2009م ، ج [3]، ص103.

2-القطاع الصناعي والتجاري:

أحدثت الأزمات الطبيعية آثاراً سيئة على تطور الصناعة والتجارة، فهلكت مختلف الطوائف المهنية، نتيجة حدوث الأوبئة ،السيول، الثلوج والأمطار التي كانت تمنع الطرق التجارية، مما أدى الى عدم وصول السلع إلى الأسواق فترتفع الاسعار.

تضرر التجار بسبب الحريق الذي تعرضت له قيسارية مراكش سنة 607هـ/ 1210م،حيث تحرك اللصوص لارتكاب السرقات وذهب للتجار الواردين والدانين والقاصين من الأموال الجسيمة[1]،وبحدوث المجاعة في المغرب والأندلس سنة616هـ/1219م ارتفعت الأسعار، لاستمرار القحط وهجمات الجراد واستمر الوضـــع 7سنوات فأشارت بعض المصادر الفرنسيسكانية(تعني الرهبة في الكنيسة الكاثوليكيةويعرف رُهبانها باسم الفرنسيسكان)أن سبب هذه المجاعة التي دامت5سنوات عقوبة إلهية ضد المغرب لقتلهم5من الفرنسيسكان بمراكش الذين أرسلهم القديس فرنسوا لتنصير المسلمين[3]،بانتشار الجراد سنة617هـ/1220م قضى على المحاصيل مما جعل الأوبئة والمَوَتان تكثر لقلة التغذية[4]،وعاود ظهوره سنة624هـ فاشتد الغلاء[5]،حتى بلغ القَفِيز[6] من القمح15دينارا[7].

---

1 محمد المغراوي : المرجع السابق، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص .165

2 محمد رابطة الدين: المرجع السابق ، ص .18

3 محمد المغراوي : المرجع السابق ، ص 168 .

4 ابن ابي زرع :المصدر السابق ،الذخيرة السنية ، ص 44 .

5 خالد بلعربي :المرجع السابق ، ص 21 .

6 القَفِيز: بفتح القاف وكسر الفاء والجمع قفزان ويساوي في الأوزان ثمانية أرطال .أنظر محمد عمارة: المرجـــــع السابق ، ص463-464 .

7 السلاوي : المصدر السابق ، ج1 ، ص311 ؛ محمد المغراوي : المرجع السابق ، ص168 .

واستمرهجوم الجراد إلى سنة630هـ/1232م فنقصت الغلات وقلّت مردودية الأرض[1] حيث بلغ القَفيز من القمح80دينارا[2]،ولما قام أبو العلاء ادريس بن المنصور يعقوب بحصار سبتة سنة630هـ/1232م،أدركته وجموعه مجاعة شديدة،فبلغ مدّ[3]الشعير7دراهم ورحل مضطرا إلى مراكش لسيطرةابن اخيه عليها[4]،وفي أواخرالقرن7هـ حُوصِرت تلمسان وغلَت الأسعار والأقوات،فوصل ثمن مكيال القمح(البرشالة)الذي مقداره12رطل ونصف الى مثقالين ونصف من الذهب، وثمن البقر60 مثقالاً،الضأن7 مثاقيل ونصف [5].

ونظرا للغلاء، وصل سعر المدالواحد من القمح الفحصي سنة632هـ/1234م إلى 7دراهم،وربعه إلى37درهمافي سنة634هـ/1236م،وعَرَفت أسواق مراكش مجاعةفلم يكن بها ما ينطبق عليه اسم شيء،وكانت الحوانيت مغلقة،ومابقي بها شخص يلبس ثوب10دراهم،وإثرمجاعة635هـ/1237م بالمغرب وصل وسق القمح إلى30ديناراً[6]،كما تسبب حريق بفاس بنفس العام،في حرق أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة[7].

وبتعرض المغرب سنة653هـ/1255م لفيضانات،تسببت في ارتفاع الأسعارفبلغ سطل الشعير3دنانير ،والحطب ديناراً للرطل من شدة تلك السنة[8]،كما بلغ سنة690هـ/1291م

---

[1] خالد بلعربي: المرجع السابق، ص21 .

[2] السلاوي: المصدر السابق ،ج1، ص311 .

[3] المدّ:جمع أمداد مِداد اختلف مكياله بإخلاف المكان والزمان ووحدة القياس وسميّ مُداً لأنه في الاصل ملء كفي الانسان المعتدل الكف بالحبوب إذ هو مدّ هما . أنظر محمد عمارة: المرجع السابق، ص 522-523 .

[4] الحميري : المصدر السابق ، ص 605 .

[5] ابن خلدون عبد الرحمن(732هـ -808هـ/1332 م -1406م):تاريخ ابن خلدون(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان،1421هـ/2000م ، ج 7، ص 128 .

[6] محمد المغراوي :المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص170-171 .

[7] نفســـه ، 172 .

[8] البيذق : المصدر السابق ، ص 53 .

ثمن المد من القمح10دراهم والدقيق6أواقي بدرهم[1]،ولجفاف سنة694هـ/1294مدوراً في ارتفاع الأسعار بتلمسان، وحدوث مجاعة عمت كل بلاد المغرب الأقصى والأوسط وإفريقية، فكانت أسعار القمح والدقيق نفسها،كما سبِق ذكرها في سنة690هـ/1291م[2].

وتعرضت مدينةفاس سنة723هـ/1323ملأمطارغزيرةوثلوج،تسببت في انعدام الحطب والفحم حتى بيع بدرهمين للرطل[3]،وفي السنةالموالية724هـ/1324مبسبب المجاعة التي حلت ببلاد المغرب، وصل سعرالمد من القمح بفاس15درهم والصحفةمنه90دينار ،وغلا الآدام وعُدمت الخضر[4]،وأتت السيول الجارفة سنة725هـ/1325معلى الأسواق الكبرى بفاس كالصباغين والرصيف وَهُدِمَت القنطرة و2من الأفران و94حانوتاًوالأرحا8بيوت[5].

تسبب طاعون سنة749هـ-750هـ/1348م-1349مفي تخريب الامصاروالمصانع وخلت الديار وضعفت الدول في المغرب حسب مارواه ابن خلدون[6]،وحدث بتلمسان 764هـ/ 1362مطاعون[7]،عبّرعنه التنسي(ت899هـ)على ماخلفه من غلاء بقوله((بلغ فيها الرطل من الملح دينارين...الدجاجة ثمانية دنانيرذهباً))،إضافة إلى الجفاف الذي استمر3سنوات 776هـ-778هـ/1374-1376مكان له أثر في الغلاء وذلك لنفاذ المؤن والمدخرات [8].

---

[1] ابن ابي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 409 .

[2] مختار حساني : المرجع السابق ، ج2 ، ص 59.

[3] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص179.

[4] نفســـه ، ص 179 .

[5] ابن ابي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص414.

[6] ماجدة كريمي: قراءة المدينة الموحدية والمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئة ،المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب ، العدد4 ، أكتوبر، فاس، 2004م ، ص114 .

[7] الطاعون: يعرفه العسقلاني على انه مرض خطير، اذا هجم عمَّ البلاد وغمَّ النفوس واذاب الاكباد ويقول يوسف خياط انه مرض وبائي يصيب الفئران وتنقله البراغيث الى الانسان اما الموسوعة البريطانية تضيف انـــه كـــان يُطلق قديماً على اي مرض واسع الانتشارمسببا الموت الجماعي.انظر العسقلاني احمد بن علي بن حجر(773 هـ - 852هـ): بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق احمدعصام ، دط ، دارالعاصمة ، الرياض، د ت،ص 23.

[8] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص20 - 25 .

يذكر ابي زرع((كان بفاس400حُجَرلعمل الكاغد وخُرب...جله أيام المجاعة والفتنة))[1].

3-الثروة الحيوانية:

تعد الأزمات الطبيعية خاصة السيول،الثلوج،العواصف والأوبئة، من الأسباب التي ألحقت خسائر كبيرة بالثروة الحيوانية، التي تعتبر مصدر رزق للمجتمع.

يذكر صاحب التاريخ المنصوري أن مجاعة620هـ-621هـ/1223م -1224مخلفت مضاعفات كثيرة منها قلة الخيول ، زيادة عن الفتن التي كانت بين القبائل[2]،وباكتساح الجراد بلاد المغرب عام630هـ/1232مأذهب معظم الإنتاج وتضررت الحيوانات ونفق الكثير منها بسبب الجوع، كما حدثت عواصف بردية بالمغرب الأوسط أواخر فصل الخريف ، وخلال فصل الشتاء قتلت البهائم[3]،وفي يوم الثلاثاء13رمضان723هـبفاس أهلكت الرياح، الأعاصير،البرَد والسيول عدد كبير من الدواب،المواشي والبقر وحملت الخيل والإبل أيضاً[4]،والناس وفاض سد رواغ[5]، وبتعرضت تلمسان سنــة776هـ/1374م لإعصارهلك الزرع وظهرت مجاعة شديدة تسببت في قتل الحيوانات[6]، كماوقعت البهائم فريسة سهلة في أيدي المحاربين التي صعُبَ على الفلاحين وضعها في مخابئ آمنة فأُبيد عدد كبيرمن الأبقار والخيول وأثر هذا سلباً على عملية الحرث وبالتالي المردود[7].

---

[1] محمد الأمين البزاز: حول المجاعات والأوبئة بالمغرب خلال العصر الوسيط ، مجلــة كليــة الآداب والعلـــوم الإنسانية، العدد الثامن عشر، أكتوبر، الرباط ، 1993م ، ص113.

[2] ابن نظيف أبي الفاضل: التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، نشره وحققه أبوالعيد دودو مراجعة عدنان درويش ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق،1401هـ/1981م ، ص101 .

[3] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 21 .

[4] ابن ابي زرع :المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص413 .

[5] السلاوي : المصدر السابق ،ج 3 ، ص 179 .

[6] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 22 .

[7] محمد الأمين البزاز : المرجع السابق ، ص 99 .

ثانيا- تأثير الأزمات الطبيعية على البُنية الديمغرافية :

كان للأزمات الطبيعية ،التي تعرضت لها بلاد المغرب خلال القرنيين(7هـ-8هـ /13م-14م) أثرًا مباشراً على الديمغرافية، إما في شكل مجاعات وأوبئة أو حرابة وهجرة من مناطق الى أخرى، أو حتى التأثير على ذهنيات الإنسان.

1- المجاعة و الأوبئة:

شكلت المجاعات والأوبئة خطراً كبيراًعلى حياة سكان بلاد المغرب،إذ فتكت بهم لتكرارها،ولم يستطع الإخباريون إسقاطها من ذاكرة التاريخ لأن نتائجها ساهمت في تشكيل الأحداث التي اعتنوا برصدهافكانت سبباًمباشراً في التأثيرعلى صحةالإنسان وتوفيرالغذاءونموالسكان،ويمكن ايجازهذه التأثيرات حسب التسلسل الكرونولوجي كالتالي:

إثر حريق القيسارية بمراكش سنة607هـ/1210م نتجت عنها افتقار مياسير الحـــال وأصبحوا يتكففون[1]،كماتعرضت بلادالمغرب والأندلس سنة610هـ/1213م لوباءعظيم[2] بعدهزيمة العقاب،فقال الناصري((تحيَف الناس إلا قليلاً))وكانت سنة615هـ/1218مأشد السنوات عجافاً، نتجت عنها مجاعة حادة فأطلقت عليها قبائل المصامدة تسمية"سنة وقليل"،وشرحها المغراوي أنها كانت سنة ضاغطة لدرجة اعتبرها السكان أطول من سنة عادية[3]، وبانحباس المطر عن بلادالمغرب سنة616هـ-619هـ/1219م-1222م نقص الغذاء فأكل الناس الميتة[4]، وتسبب قحط617هـ/1220مفي انتشار المجاعة فهلكت المدن والقرى و وصفها صاحب القرطاس "بالمجاعة العظمى" [5].

---

[1] محمد رابطة الدين : المرجع السابق ، ص18.

[2] ابن ابي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس، ص272؛ السلاوي :المصدر السابق ،ج2، ص 262.

[3]ابن عذارى المراكشي:المصدرالسابق،ص267؛ محمد المغراوي:المرجع السابق،الموحدون وأزمات المجتمع،ص16.

[4] نفســـه ، ص 168.

[5] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 1، ص 253 .

وفي سنة620هـ/1223م طبخ الناس عرق"الرّنَا"،وهو شديد البياض فهلك الكثيرمنه[1] ويذكر ابن بطوطة ، أن فقيهين بمليانة مرضا بسبب الجفاف ، فتوفيَّ قاضي تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر وبقيَّ الشيخ الصالح أبو عبد الله الزبيدي[2].

ويذكر ابن خلدون(ت808هـ)أن الأغنياء من أهل الحضر والبادية كلما تحِلُ بهم السنون وتأخذهم المجاعات يُسرِعُ إليهم الهلاك أكثر من غيرهم[3]، وتسبب الجفاف سنة630هـ/1232م في مجاعات استنزفت ديمغرافية بلاد المغرب، فكثر الوباء والجوع وخرج الضعفاء يتسولون على الأبواب[4]، وفي عهد الخليفة الموحدي الرشيد سنة632هـ/1234مألمَّت بمدينة مراكش مجاعة، فعانت من رداءة الهواء لكثرة الأمطار بعد الجدب فانتشرالوباء واشتد المرض على الأشياخ[5]،وبسبب الغلاءسنة635هـ/1237م اضطر الناس لأكل بعضهم بعضاً، فتوفيَّ العديد منهم،ودفن في الحفرة الواحدة مئة[6]،وصل تأثير المجاعة والوباء إلى دار الملك بمراكش ومات10/9من أفراد وفود أهل اشبيلية، سبتة وغمارة ، وقَطَع أحد الصلحاء التعليم بسبِها بمدينة سبتة[7].

في سنة636هـ/1238متوفي اليانشتي أحدولاة سبتةبسبب الوباء[8]،وأدت مجاعةسنة 637هـ/1239م بفاس لانعدام الغذاء فأُصِيب الناس بالجذام[9]،وماكاد سكان سبتة استعاد

---

[1] محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون و أزمات المجتمع ، ص 168 .

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج1، ص 158 .

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ، مقدمة ، ص 120.

[4] محمد المغراوي : المغرب في العصر الموحدي جدلية القوة والأزمة ، المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب ، عدد4 ، أكتوبر، الرباط ، 2004 م ، ص91 .

[5] جمال طه : المرجع السابق ، ص 374 .

[6] السلاوي : المصدر السابق ، ج1 ، ص311 .

[7] الحسين أسكان: المرجع السابق ، ص 146 .

[8] محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون و أزمات المجتمع ، ص 48.

[9] بن القاضي : المصدر السابق ،ج1، ص34.

أنفاسهم حتى أُصيبوا بمجاعةمفرطةوسُمِيَّ هذا العام ب"عام سبعة"[1]،فأكلوا فيتورالزيتون بعد طحنه وخبز يُصنع من نبات تبودا[2]،وعصائد من نُوارالخروب،الجيف،والدواب وأَكَلْ السجناء كل من يموت منهم[3]،وساهمت الرياح الشرقية التي هبت سنة679هـ/1280م ودامت6أشهرفي تفشي الأمراض والأوبئة[4]،كماشهدت مدينةتلمسان سنة688هـ/1289م قحط شديد؛فقال العبدري((وَصَلْنا مدينةتلمسان فوجدناه بلداًحلّت به زمانه الزمان وأخلت به حوادث الحدثان فلم يبقِ له علالة ولا تبصر في أرجائه للضآن بلاله))[5].

وبحصارتلمسان سنة698-706هـ/1298-1306ممن طرف يوسف المريني(ت684هـ) أصيب الناس بمجاعة فاضطروا لأكل الجيف، القطط، الفئران وأشلاء الموتى يقول ابن الأحمر((...وكانوا يفرطون ويجعلون غائطهم في الشمس حتى يعود يبساً فيطبخونه ويأكلونه))[6]، وأصيب سكان مراكش نتيجة الهواء الجاف بالسعال،ويشير مروان بن عبد الملك بن زهر الى بعض الامراض المنتشرة كالبهاق،الجذام،الرئة،والنقرس الذي مات به الخليفة الموحدي المستنصر والجدري،الزخار بسبب ركود المياه ،وخلف الوباء أمراض ككف البصر ،الصرع،التشنج[7]،وبوفاةالمستنصر كثرت المجاعات[8].

ولقلة المياه تقلصت إمكانيات التغذية،مما أثر على صحة المغاربة،وحدوث انهيارات

---

[1] محمد المغراوي : المرجع السابق ، جدلية القوة و الازمة ، ص 92 .

[2] تابودا: نبات يشبه القصب ينبت عادةً في الصهاريج والسواقي والأنهار فيُجفف ويُصنع منه الخبز.أنظر محمد الأمين البزاز: المرجع السابق ، ص 101 .

[3] محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص176 .

[4] محمد العبدري : المصدر السابق ، ص 27 .

[5] خالد بلعربي: المرجع السابق ، ص 20 .

[6] بن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ،1421هـ/2001م ، ص 69 .

[7] جمال طه : المرجع السابق ، ص 376 .

[8] عزالدين عمرأحمدموسى:دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي،ط1،دارالشروق،بيروت، 1403هـ/1983م، ص114.

ديمغرافية[1]،وفي سنة746هـ/1345م عرفت تلمسان طاعون ويرجع ظهوره الى آسيا الوسطى،اكتسح أوروبا ووصل شمال افريقيا749هـ/1348م وعُرِف بالطاعون الأكبر والأسود،الموت الأسود،الشرالأسود،الفصل الأسود، وسنةُ الفناء وخلَّف هذا الوباء الكثير من الضحايا[2]،ودفعت المجاعة إلى تناول مواد تكميلية،والعودة للحياة البدائيةبالاعتماد على الجَمَع والالتقاط وأكل أعشاب السقوف، أما سكان مراكش فكسروا عظام الجيف البالية وسحقوا أمخاخها،[3]يذكرابن قنفذ كان معه ابن عاشر ويقول((طلبته فيما يطعمني فاعتذرلي بالإقلال ثم قال لي:أمهل،ودخل فأخرج لي حبات من التين اليابسة))[4]،وعاود انتشارالطاعون سنة764-765هـ/1362-1363م ويُرجِع ابن الخطيب أسبابه إلى المجاعة أما ابن هيدور فأرجعه للغلاء الذي إذا طال اشتدت أسبابه و نتج عنه الوباء [5].

وتعرضت تلمسان سنة776هـ/1374م لإعصارشديدأثرعلى سكانهابالمجاعة؛وهجمات الجراد حدثت مجاعات في المغرب الأقصى وتركت الأغصان يابسة[6]،ويؤكد هذا يحيى بن خلدون بقوله((مجاعة شديدة أكل فيها بعض الناس بعضاً، لريح ذات إعصارأهلكت زرع صائفتها وحيواناتها...فافتقر الناس))[7]،وسَلَّم الناس أنفسهم للنصارى مقابِل الطعام [8].

---

1 عبد المجيد القدوري :المرجع السابق ، ص 22 .

2 خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص23 .

3 محمد الامين البزاز: المرجع السابق ، ص101 .

4 بن قنفذ القسنطيني أبي العباس أحمدالخطيب(ت810هـ/1408م): أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي أدولف فور ، دط ، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ، 1965م ، ص 21 .

5 خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 23 .

6 نفسه ، ص 21 .

7 يحيى بن خلدون :المصدر السابق ، ج2 ، ص 298 .

8 الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين ابي عبد الله : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1397هـ / 1977م ، ج5 ، ص 101 ؛ محمد المغراوي :المرجع السابق، الموحدون وازمات المجتمع، ص 168 .

2 – الحِرابـــة و التســـوَّل:

أسهمت الأزمات الطبيعية المتلاحقة في مجال المغرب، في ظهور سلوكات السطو والحرابة(السرقة) خلال مراحل حرجة في حياة المجتمع زمن القحوط والمجاعات، متخذةً طابعاً أكثر حدة ،كما كانت ظاهرة التسول منتشرة نظرا للحال المُعاش هناك.

تعرضت ممتلكات الأولياء لأعمال السطو والحرابة،مما اجبر الناس لبيع ممتلكاتهم ولو بأثمان زهيدة من أجل الغذاء[1]،ونشطت عملية السلب إثر حريق قيسارية مراكش سنة607هـ/1210م فعرضت بضائع التجار وأمتِعَتهم للنهب لَمَّا انشغل الناس بإطفاءالحريق، وتسلل اللصوص عبركل طريق[2]،فَفتَقَر مياسيرالحال وأصبحوايتكففون[3] وعرفت سنة630هـ/1232مفترات متلاحقة من الجفاف نتج عنها مجاعات حادة فخرج الضعفاء يتسولون على الأبواب فكثروا في البلاد وضاقت بهم الأرض[4]،وفي الغالب ينتج عن المجاعة صفات قبيحة، كاعتداء على ممتلكات الغير،والتسول حيث يذكرابن عذارى عن مجاعة631هـ/1233مأنه إذا وُجِدَ خبز الشعير في الأسواق يتهافت عليه جمع غفير من الضعفاء والمساكين واذا توصل اليه أحدهم يُنتَزعُ منه بالقوة والغلبة [5].

كانت مجاعة688هـ/1289مسبباً في ظهورقُطاع الطرق واللصوص بمدينةتلمسان فأصبحت الطرق غيرآمنة، فيذكرالعبدري في رحلته لها وجد طريقها مُخَوفاً تسلكه الناس بحذر ولا يسلم منه أحد[6]،وأنزل المرينيون أقصى العقوبات عليهم لكثرتهم ،خاصة مع ظهورجائحةالجراد706هـ/1306موتَمكن منهم أبوثابت عامرالمريني سنة707هـ/1307م

---

[1] محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص175 .

[2] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص257.

[3] محمد رابطة الدين: المرجع السابق ، ص18.

[4] محمد المغراوي: المرجع السابق ، جدلية القوة و الأزمة ، ص 91 .

[5] ماجدة كريمي : المرجع السابق ، ص 114 .

[6] العبدري : المصدر السابق ، ص 25 .

فسجن60شيخاًبسجن أَنفَا وصَلب20منهم على اسوارالسجن، ومع ضغط الحاجة جعل اللصوص لايُميِزون بين الأغنياء والفقراء في السطوا[1]،ويذكرابن قنفذ في776هـ/1374م أنه بقيّ بتلمسان شهرا ينتظر تيَسُر الطريق لانعدام الأمن بها فكلّما قدِم عليهم شخصا تعجبوا من سلامته[2]، ولهذا يمكن القول ان المجاعة أثرت على القِيم الاخلاقية للإنسان فاستفحلت ظاهرة النهب والسلب[3]،وتحول الناس تحت ضغط الجوع الى مجموعات من اللصوص ، يترصدون كل من يمر بمناطقهم ليستولوا على متاعه[4].

لقد كان الخوف ملازماً لحياة الناس، فأبواب المدن توصد في أوقات محددة،والأزقة وُضِعت عليها الابواب، أما البوادي فحالها افدح، ويشير أبي الحسن الصغير((وأما أرض المغرب فليس فيه محل للنوم لأنه يخاف من السرقة في اقل مدة)) [5].

3- كثرة الـوفيات و الهجـرة :

شهدت بلاد المغرب خلال العصر الوسيط تحركات بشرية،منها الاختيارية أوالطوعية ومنها الاضطرارية التي نحن بصدد دراستنا التي فرضتها الازمات الطبيعية بحثاً عن مجالات بديلة عن الموت البطيء والجوع و الأوبئة .

استنزفت مجاعةسنة630هـ/1232مسكان المغرب الذين آثر اغلبهم الفرار وبقيَّ إلا من لم يستطع الخروج[6]،وعصفت بمدينة مراكش التي لم يبقى أمام مستضعفيها سوى الفراربأنفسهم من الإبادة البطيئة[7]،وفي نفس السنةتوفيَّ ابوالعلاء ادريس بن المنصور

1عبد الهادي البياض: المرجع السابق،ص84 ـ 87.

2 ابن قنفذ : المصدر السابق ، أنس الفقير ،ص 105 .

3 خالد بلعربي :المرجع السابق ، ص 24 .

4 احمد السعداوي: المرجع السابق ، ص 29 .

5 محمد فتحة:النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي من القرن(6هـ9هـ/12م ـ 15م)، مطبعة المعارف الجديدة سلسلة الاطروحات والرسائل ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، 1999م ، ص405 .

6 محمد المغراوي : المرجع السابق ، جدلية القوة و الأزمة ، ص 91 .

7 عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 120 .

بسبب فيضان واد أم الربيع[1]،وبتوالي الجفاف لأعوام على بلاد المغرب فرَّ الناس يمينا وشمالاً ومن بينهم أبى محلَّى وعائلته[2]،وفي سنة632هـ/1234مفرَّ من أهل سبتةشيخها البطريني فمات ومن معه في الطريق[3]،وبسبب الوباءوالغلاء سنة635هـ/1237م توفـيَّ العديدمن الناس[4]،وهرب أكثرأهل البلاد[5]،وتوفيَّ واليها اليانشتي[6]،وبتوالي الآفات الدورية على المغرب في مدةًلاتقل عن18سنة نقصاً سكانياًونزيفا ديمغرافيا بسبب الفرار والهجرة حيث هاجرت سنة706هـ/1306مجموع من برقة نحوالمغرب،ومات اكثرمن600شخص في الطريق ونجا منهم سوى100 أو نحوها ،وهم في أسوأ حال نتيجة الجوع والتنقل [7].

أهلك السيل الذي أصاب فاس سنة723هـ/1323مما يزيدعن150نفساً[8]،وبتـــكراره عام725هـ/1325مهدم المساجد، البيوت وآلاف البشر حتى أصبـح التخوف من خراب البلد وتلفها[9]؛فكان عدد الضحايا المعروفين بأسمائهم730نفساًو1100دار و5مساجد[10] وتوفي الفقيه أبو عبدالله محمدبن يحي بن النجار بطاعون749بتونس[11]، وعبد المُهيمِن الحضرمي،محمدالسكوني،ابن عبدالستار ،ابوموسى،ابن الإمام محمدبن الوادي الآشي[12]

---

1 وادي الربيع:هووادي وانسيفن عندقلعةمهدي ببلد فازاز في المغرب الأقصى، ينبع من الأطلس بين جبال عالية في حدود تادلا وفاس.انظر الوزان :المصدر السابق ،ج2، ص247؛ الحميري: المصدرالسابق، ص 605 .

2 عبد المجيد القدوري : المرجع السابق ،ص 23.

3 جمال طه : المرجع السابق ،ص374 .

4 السلاوي : المصدر السابق ،ج1 ، ص 311 .

5 ماجدة كريمي : المرجع السابق ، 114 .

6 محمد المغراوي : المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص 48 .

7 عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 122 -123 .

8 ابن ابي زرع : المصدر السابق، روض القرطاس ، ص 41 ؛ ماجدة كريمي :المرجع السابق ، ص 112 .

9 السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص180 .

10 ابن ابي زرع : المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص 414 .

11 يحيى بن خلدون: المصدر السابق ، ج ، ص 55 ؛ محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور دورهـــا في سياسة وحضارة الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984م، ص 134.

12 الآشي التونسي شمس الدين محمد بن جابر(ت749هـ):برنامج ابن جابرالوادي الآشي،تقديم وتحقيق محمدالحبيب الهيله من التراث الإسلامي كلية الشريعةوالدراسات الإسلامية،جامعة أم القرى ـالسعودية،1401هـ/1981م،ص25.

ووالِدَيْ بن خلدون[1]،نظراً للجفاف ففرَت قبائل السوس الأقصى إلى الصحراء[2]،ويذكـــر ابن الخطيب أن طاعون763هـ/1361م احتجز الكثير من الناس إلى القبور وكثـــرت الوفيات[3]، وصلت إلى1000 شخص يومياً بتونس حسب الزركشي[4].

4- التأثير على الذهنيـات و السلوكيـات:

أسهمت الأزمات الطبيعية بقسط كبير في التأثيرعلى سلوكيات وذهنيات الإنسان المغربي، مما جعلته يلجأ إلى البدع والخرافات والمحرمات لتفسير تلك الظواهر.

صَّدق الإنسان المغربي كلام المنجمين حول حدوث الأزمات ومانتج عنها[5]،وهذا مايؤكد غياب عقلية النقد للأخبار الزائفة ،لأنهم أوهموا الناس أن الاضطرابات المناخية تُطهر الأرض من الدنس ،لذا إعتبرهامن علامات الساعةوالبعث[6]،فأهالي نفزاوة[7]اعتقدوا أن الرياح والزوابع الجوية كانت بسبب تكسير إحدى طلاسيمها المدفونة على حد قـول التيجاني[8]،والأكثر تصديقاً لهذه الخرافات العامة لعدم وعْيِهم وتقبلهم أي فكرة[9]،إذ نَسَبوا غرق أسطول أبي الحسن المريني لسهام العين،رغم وجودعواصف بحرية،قـال النميري: ((عَلِم أهل البصائر أن عين حاسد أصابت، فكان ذلك بالسحب الذوالح)) [10]،كما ادعى المنجمون القدرة على تفسير الكوارث وفق طقوس لجلب المطر،فتشوف العوام لشهر ديسمبرالمُناسب لسقوط المطر،فإذا كانت لياليه السبع الأولى مطيرة خَصُبَ العام [11].

---

[1] خالد بلعربي : المرجع السابق ، ص 20 .

[2] عبد المجيد القدوري : المرجع السابق ، ص 21 .

[3] ابن الخطيب: المصدر السابق ، نفاضة الجراب ، ص 90 .

[4] عبد العزيز فيلالي : المصدرالسابق،ج[1] ، ص252 .

[5] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 62 .

[6] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص132 .

[7] نفزاوة: مدينة من اعمال افريقية بنواحي الزاب الكبير بجريد.انظر الحموي: المصدر السابق ، ج5 ، ص 296.

[8] ابن الخطيب :المصدر السابق ، نفاضة الجراب ، ج2 ، ص55 .

[9] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 134 .

[10] النميري الحاج : المصدر السابق ، ص 90 .

[11] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص136 .

ومارس سكان غمارة(شمال المغرب)الدجل؛المؤدي للنوم العميق مدة3أيام وباستفاقتهم يخبرون الناس بما يحدث في العام من خصب أوقحط[1]،وتخذوا عام637ه/1239م سنة مناسِبة للتأريخ فسموها بعام سبعة[2]،ومن الممارسات الخرافية القيام بمهرجان؛يضرمون النارفي شُعلة،ويقفزون فوقها ويرش بعضهم بالماء تَيمُناً بالخصب ولبس الأبيض طيلة أيام المهرجان، ولا تُنزَع إلا في أول أكتوبر للتبّركِ والتطهر وطرد عوامل القحط،ولزيادة الماء؛ تجلس جارية حسناء مقابل الينبوع وتُزَمربالناي مدة3ساعات وأخرى تُطبِل وتغني ولدفع الآفات عن الزرع ؛صنعواغربال من جلد الذئب به30ثقباًتُغربل به الزراريع فتسلم من الآفات،كما عَلَقوا حروزاً استدراراً للبركة واتقاء شر قوى الطبيعة،وتخصصَ البعض بالنظر في كتف الشاة لمعرفة الأحوال الجوية وأسرار الطبيعة اعتماداً على نتوءاته[3].

وتَطيَر الفلاحون بشجر النارنج المرتبط لديهم بالكوارث فيتجنبواغرسه[4]،ومنهم من لجأ إلى ضرب خط الرمل ،وفي رواية المراكشي عبد الواحد يقول((..أن المهدي بن تومرت اعلم أهل المغرب بعلم الرمل))[5] حتى الأئمة مما أثار المصلين عليهم[6] ، وأن الذهنيات الخرافية القائمة على الخوف من الأزمات الطبيعية ظلت موجودة في سلوكات مجتمع المغرب، حيث أن يعقوب المريني اعتمد على المنجمين أثناء بناء مدينة فاس سنة674 ه/ 1275م[7]، وعلى هذا الأساس أصبحت حسب زعمهم انه لا يموت فيها خليفة ولا يخرج منها جيش إلا ظفر، وخُلوِها من الأمراض الفتاكة[8].

---

1 مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العراق ـ بغداد،1985م ، ص192 .

2 ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين ، ص351 .

3 عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 145 ـ150 .

4 المقري التلمساني احمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،1408ه/1988 م ، ج3 ، ص497 .

5 المراكشي عبد الواحد محي الدين أبي محمد: المعجب في تلخيص المغرب ، تحقيق وتعليق محمد زينهم ، دار الفرجاني ، القاهرة ،1994م ، ص 346 .

6 الونشريسي : المصدر السابق ، ج 1 ،ص 133 .

7 السلاوي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 44 .

8 ابن أبي زرع : المصدر السابق ، الذخيرة السنية ، ص 161 .

الفصل الثالث:

طــرق مواجهة آثــار الأزمــات الطبيعيــة

أولا: الـطــرق الإجــرائية

1 ـ تخزين المياه

2 ـ بناء الجسور و القناطير

3 ـ الادخار للأقوات و الاقتصاد في الاستهلاك

4 ـ الهبات و المساعدات

ثانيا: الطرق الاستمدادية (الطـلبية)

1 ـ الدعاء و الاستسقاء

2 ـ الصدقات و الكرامات

3ـ الطقوس السحرية و الخرافية

لقد تسببت الكوارث الطبيعية وآثارها (الجفاف والقحط ،الفيضانات وغيرها)في إلحاق أضرار كبيرة على مستوى الإنسان، مما جعلته يُفكر في طُرق لحماية نفسه؛منها الإجرائية و الاستمدادية(الطلبية).

أولا- الطرق الإجرائية:

توصل العقل المُفكِر في فترات القحط إلى تقنيات تخزين الماء، كحفر الآبار واستعمال الصهاريج ، أو بكثرة المياه وذلك ببناء السدود والقناطر لحماية أنفسهم ، والمحاصيل الزراعية من التلف.

1- تخزين المياه:

يتضح من خلال المصادر والمراجع، أن سكان بلاد المغرب خلال العصرالوسيط اعتمدوا على مياه الأمطار والآباروالأودية والصهاريج واتخاذ الآبار بجانب الأنهار حتى لا ينصب ماؤها ، واستنباط المياه من المواضع المرتفعة وحفر عدة آبار في موضع واحد على أعماق متباينة لتوسيع الرقعة المسقية.[1]

ويذكرالعبدري(ت720هـ)في رحلته إلى مدينة تونس699هـ/1299م أنه نظرا لقلة مياهها إعتمدوا على مياه الأمطار فأقاموا خزانات لها ، أما قصر السلطان فجُلِبت له ساقية من ناحية زغوان[2] ، وسَربَ جزء منها إلى ساقية جامع الزيتونة ، وينقل منه في أنابيب من الرصاص لسقي الغرباء ومن لا يجد بداره ماء حيث كان يكثر الازدحام عليها[3].

---

[1] عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص163-164.

[2] زغوان: جبل بإفريقية بالقرب من تونس ، منيف لعُلُوه جعل السائرين يستدلون به لأنه يُرى على مسيرة الأيام الكثيرة،حيث يُرى السحاب دونه نظرا لارتفاعه وكثيرا ما يمطر سفحه ولايمطر أعلاه.انظر ياقوت الحموي:المصدر السابق ، ج3 ، ص 144 .

[3] محمد العبدري: المصدر السابق ، ص 69 – 70 .

ولم يَعرف السبتيون نظام الصهاريج،إلا في القرن7ه/13م كما استفادت فاس من شبكة صهاريج طبيعية، محاطة بجدران وأبواب تكون مغلقة،يُوزع ماؤهاعلى البيوت والمساجد والفنادق والمدارس[1]،وأعادالسبتيون تشغيل الطواحين المائية المعطلة لجر مياه البحر في الساحل الجنوبي، عن طريق الناعورات،وتخزن في الصهاريج،ثم تُطلق في القنوات لتحرك أحجار الطواحين ، و باستقرار المرينيون في المغرب الأقصى اهتموا بالتجهيزات المائية، مقتبسين من خبرة الأندلسيين،حيث أنشأ أبو يعقوب يوسف المريني الناعورة الكبرى على وادي الجواهر بفاس،والتي تَعجَب ابن الخطيب من ضخامتها واصفاً إياها أن عدد دوراتها لا يتعدى 24دورة في اليوم والليلة، واتخذ أهالي المناطق الصحراوية الخطرات والنواعير لمقاومة الجفاف والتصحر[2].

ولمواجهة ظاهرة الجفاف،لجأ الإنسان لبناء صهاريج باطنية لحفظ مياه الأمطار كصهاريج دكالة وأسفي،التي عُرفت عند سكان تامسنا" بالحُفر" وهذا ماذكره ابن الزيات أن الشيخ أبا وكيل"أمَر قومه أن يستسقوا من الحفرة التي أعدها لماء المطر"[3]، ولاحظ ابن الخطيب عند زيارته مدينة دكالة[4]،أن بها مخازن كثيرة للمياه عبّرعنها بلفظ "نطاف" وأكد أن أهلها كانوا يستقون ((من نطاف عذبة تُختَزن من بِركات الأمطار فيقع بها أمنهم و الاجتراء إلى زمن المطر))[5].

أطلق المراكشيون على الصهاريج،التي جمعوا فيها مياه الأنهار والأمطار اسم "بِرَك" وهي خزانات عظمى منها البِركة التي كانوا يجمعون فيهامياه المطر خارج أبواب الرُب أحد أبواب مراكش[6] ، اهتم الموحدون بطرق وتقنيات توفير المياه أكثر من المرابطين

---

[1] الحسن الوزان: المرجع السابق ، ج1 ، ص194.

[2] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص168-170.

[3] ابن الزيات التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحي(ت617):التشوف إلى رجال التصوف واخبار أبي العباس السبتي تحقيق أحمد توفيق ، ط2 ، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء ،1997 م ، ص235.

[4] دكالة:بلد يسكنه البربر يحدها شمالا أم الربيع وجنوبا تنسيفت وغربا البحرالمحيط .الوزان:المصدرالسابق،ص147.

[5] ابن الخطيب: المصدر السابق ، نفاضة الجراب ، ج 2 ، ص69 .

[6] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص219 .

كإقامة السواقي الكبيرة والصهاريج ، حفر الآبار وخزانات لميـــاه الأمطار وزيادة عدد السقايات بالمدينة[1]، وقد بلغ حجم الخزانات 216ذراعــا ومنها ما هو أطـول، هذا إلى جانب حفر الآبار من طرف الأهالي في المناطـق التي مياهــها قريبة من السطح[2] .

واعتنى الموحدون بالصهاريج والأحواض المائية، وأحاطوها بسياج من الأشجار للتقليل من تبخرها[3]،وكان الرُحَل يواجهون العطش بخزن المياه في بطون الجمال فإذا شعروا بالعطش نحروا جملا ،وشربوا مافي بطنه،علما أن الجمال عندما تشرب تأخذ من المياه مايكفيها لمدة 12أو15يوما[4]،كماأشارت المصادر إلى أن الموحدين أنشأوا سدودا تلِية بفاس على واديها، وبنى المرينيون سدا في وادي بوطوبة بفاس للتحــكم في تنظيم المياه،وعرف إنسان المغرب إلى جانب الصهاريج "الجِباب" كجُب"المينا" بسبتة و"المواجل"[5] التي تُخصص للمــرافق الدينية ، من أجل الشرب والوضوء ، كما استعمل مطامر خزن الحبوب في بعض الأحيان لخزن المياه[7].

نظراً للجفاف الذي حلّ ببلادالمغرب،انتشرت الصهاريج خاصة في البلاد الشرقية حيث أن أهل طبنة اتخذوا صهريجا لحفظ ماء بيطام الذي يُحمَل موسميًا، بالإضافة إلى أهل تونس أيضا قامواباتخاذهافي المنازل لجمع مياه الأمطارلشربهم،[8]واقامةالسدود ضروريا، نظرا لضحالةالماء في أنهارالمغرب الأوسط،خاصةبعدانقضاء فصل الشتاء[9].

2- بناء الجسور والقناطير:

نظراللسيول والفيضانات المدمرةالتي تعرضت لها بلادالمغرب،دفع بالهيئات الحاكمة إلى اتخاذ مشاريع للتخفيف من مضاعفاتها السلبية، حيث ببناء الجسور والقناطير .

---

[1] محمد رابطة الدين : المرجع السابق ، ص13-14 .

[2] جمال طه : المرجع السابق ، ص205 .

[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص222 .

[4] الحسن الوزان: المصدر السابق ، ج2 ، ص261 .

[5] المواجل: تبنى على تربيع وفي وسط بناء قائم كالصومعة كل وجه منه200ذراع وكانت مستديرة القاعــدة وضيقة الفم، شبة البعض شكلها بالقارورة .انظر عبد الهادي البياض :المرجع السابق ، ص223 .

[7] نفســـه ، ص222.

[8] عزالدين عمر موسى: المرجع السابق ، ص70-71 .

[9] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 62 .

وُجِدَ بمدينة فاس قناطر المياه التي تتعرض للانهيار في بعض الأحيان بسبب السيول والفيضانات ، ممايستوجب إعادة ترميمها من طرف المنتفعين بها،كما أن المغاربة كانوا يتعاونون فيما بينهم على تطهير السواقي والقنوات من الرواسب،حتى لاتحدث تدمير للقناطر،وتتحمل أكبر كمية من المياه ، خاصة من طرف المزارعين[1].

كما شُيدت قناطرعلى وادي تانسيفت بمراكش،التي يرتفع منسوب مياهها في فصل الشتاء بسبب الفيضانات المدمرة،وهذا بدليل أن تلك القناطر لاتصمد سوى أعوام قليلة ثم يأتي عليها السيل،ونظرا لأهمية هذه القنطرة اجتماعيا واقتصاديا كربط ضفتي النهر فقد رُمَمت عدة مرات[2].

بنى المرينيون قناطر،لمواجهة خطرالسيول التي تعِزل المناطق عن بعضهاوتُعطّل النشاط التجاري،ففي سنة725هـ/1325م بنى الأميرأبوسعيدعثمان(ت731هـ)القنطرةالكبرى بسوق باب السلسلة[3]،وكان ينتج عن فيضانات وادي أبي رقراق بالمغرب تحطيم الجسر الذي يربط مدينة سلا ورباط الفتح خلال فصل الشتاء ، وهذا ماأدى إلى إعادة بنائه[4].

ويظهر أن بعض القناطر كانت ملكيتها عامة ، فكان أمر صيانتها ورعايتها من مسؤولية الدولة،وحين هّدم السيل قنطرة في القيروان،أمر صاحب إفريقية بإصلاحها[5].

3- الادخار للأقوات والإقتصاد في الإستهلاك :

مما لاشك فيه ، أن تخوف سكان بلاد المغرب من شبح المجاعات المتكررة والغلاء وهجمات الجراد والقحوط والسيول،التي كانت غالبا ما تقضي على مصدر غذائهم،وهذا ما دفعهم لانتهاج سلوكات خاصة بالادخار والترشيد في الاستهلاك ،سواء على مستوى البوادي أو المدن ،احترازا منهم لمواجهة جحيم المجاعة والموت.

وفي هذا الإطار دَأَبَ سكان بلاد المغرب خلال العصر الوسيط على اتخاذ

---

[1] كمال أبو مصطفى: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي،(من خلال نوازل الونشريسي)،دط، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1997م ، ص59 .

[2] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص172 .

[3] ابن أبي زرع : المصدر السابق، روض القرطاس ، ص 545 .

[4] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 173 .

[5] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص61 .

الأهراء[1]العمومية،للتخفيف من حدة الكوارث الطبيعية في مجاعة616هـ/1219م،حيث أمر المستنصر بالله الموحدي (ت620هـ)، بفتح المخازن المُعدّة لاختزان الطعام[2]،فَفُتِحت للعامة وفُرقت عليهم فكانت بثمن للأقوياء،وبدون ثمن للضعفاء،وأنه أعطى من الأموال عطاءًا جزيلا وتحسنت أحوال الناس[3] .

لجأت مدينة مراكش خلال المجاعات الدورية، إلى اتخاذ مخازن للحبوب الجماعية ،فلم يستطيعوا تجاوز مجاعة632هـ-633هـ/1234م-1235م إلابفتحها،أماأهالي سبتة خلال مجاعة637هـ/1239م"عام سبعة" كان لها أثر كبير على سلوكاتهم فأصبحوا يختزنون الطعام في مطامير خاصة كل عام ، تجاوز عددها في عهد السبتي40ألف مطمور[4]،وبلغ بسكان سبتة نتيجة هذه المجاعة الحادة ادخار كل شيء حتى الحطب الُمعد للتدفئة[5] ، وشكل الادخار احد هواجس الخلفاء والسلاطين خلال العصورالوسطى ،لتأمين حاجات المجتمع من الغذاء خلال فترة الأزمات الطبيعية التي تؤثر سلبا على النشاط الفلاحي وكمية المحصول ، أو من اجل الاستعداد للحروب وما ينتج عنها والحِصارَات الطويلة التي تتطلب تموينا كبيراً من جهة اخرى[6].

ومن الاجراءات التي اتخذتها الدولة الموحدية لتجاوز الازمات، اعتماد نظام الضرائب الخراجي ، الذي يوفر للدولة مخزونا ضخماً من الحبــوب فتبيع الفائض منه في الأسواق[7] ، وأحدقت آثار الجفاف بسكان البوادي والأرياف أكثر من سكــان المدن لاسيما العواصم،لأن أهلها يدّخِرون المؤن من القمح،الشعير،السمن،التين العسل،الشحم

---

[1] الأهراء: مفرد هرى وهي مخازن للغلال، الاحتياطية لتخزينها، تحسباً للضرورات والطــوارئ ، وكـــان لها ديوان ، يرأسه: ناظر الأهراء . أنظر محمد عمارة: المرجع السابق ، ص71- 72.

[2] سعيد بنحمادة : المرجع السابق ، ص120.

[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص267.

[4] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص196 .

[5] ابن الخطيب لسان الدين(ت713هـ-796هـ):معيارالأخبارفي ذكرالمعاهد والديارمشاهدات لسان الدين ابـن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) ، تحقيق أحمد مختار العبـــادي ، د ط ، مؤسسة شبـــاب الجامعــة ، الإسكندرية ،1983 م ، ص 101.

[6] سعيد بنحمادة: المرجع السابق ، ص119-120.

[7] محمد المغراوي: المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص 167.

والقديد، الذي كان يعرف عند أهل تلمسان "بالمَسلي"،ويتم ادخارها من طرف السلاطين والعامة في أهراء أو مطامير، وكان يسمى أحد أحياء تلمسان بالمطمر[1].

أشارت بعض المصادر إلى أن، دولة الموحدين شجعت عملية خزن المحاصيل في المطامير[2]، وكان الزرع في سبتة يمكث في هذه المطامير أكثرمن60سنةولا يلحقه أي ضر، لِطِيبِ البقعة واعتدال هوائها وكونها منطقة جبلية[3]، وأن أجور الموظفين في بعض الأحيان من القمح[4]، وإذا حُصِد الزرع يُحفَظ وقت الحصاد في الأُندَر هي طريقة لتخزين التبن بتبليطه بطبقة من التراب المخلوط بالتبن، حيث يُدْرَس أو يُقَشَر لاستغلاله وقت المجاعة ، وبالتالي أصبحت عملية تخزين الطعام من ضروريات الحياة، فالمخزن أو المطمورة جزء أساسي في المزرعة أو بيت المُزارع[5].

أما مدينة فاس،فقد احتوت ضواحيهاعلى150مطمورة ضخمة تَسِعُ الصغيرة منها 1000روجي، وتصل سعة مخازن الحبوب إلى2000م و5000م[6] ،وكان السلطان أبوحمو موسى حريصاعلى تخزين المال والمؤن،تحسبا للأزمات الطبيعية،ويحث الناس على التخزين كل سنة والاقتصاد في استهلاكها[7] ، ولم ينس ماعانته تلمسان من الحصار، فبادر لجَمَع ما أمْكنَه من المواد الغذائية، وملأ الأهراء، ملحًا ،فحمًا وحطبًا وحفرمطامير كثيرة خزّن فيها القمح والشعير،لتُمكِّن تلمسان من مواجهة أي حصار، قد يحيط بها ولو على المدى البعيد[8].

ووصل بسكان بلاد المغرب في الاحتياط للعواقب ،مبالغتهم في الاقتصاد في النفقات ولاحظه ذلك ابن الخطيب في ولائمهم بقوله« واقتصادهم لاتُلتَبس منه طريقة

---

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج1 ، ص254 .

[2] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص325- 326.

[3] السبتي محمد بن القاسم الأنصاري :اختصار الأخبار عمّا كان بثغر سبتة من تسني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 2 ، دون دار نشر ، الرباط ،1403 هـ/ 1983 م ، ص42 .

[4] محمد المغراوي: المرجع السابق ، الموحدون وأزمات المجتمع ، ص176.

[5] عزالدين عمر موسى: المرجع السابق ، ص243 .

[6] الحسين أسكان: المرجع السابق ، ص141.

[7] خالد بلعمري :المرجع السابق ، ص22 .

[8] محمد بن عمرو الطمّار : المرجع السابق ، ص113.

وأنساب نفقاتهم في تقدير الأرزاق عريقة،فهم يمصُّون البلالة مصَّ المحاجم،ويجعلون الخبز في الولائم بعدد الجماجم»[1]،وأنَّ هذا التدبيرالعقلاني خاصة في الأيام العادية،يدل على سيطرة الخوف على ذهنيات المغاربة مما قد يرافق الآفات الطبيعية من مِحن وأهوال، وكذا الحفاظ على مدخراتهم ،وأصبحت سبتة مضرب الأمثال في الادخار[2].

ويذكر الحميري أن أهالي مدينة أصيلة، كانت لهم خبرة كبيرة في إعداد المطامير لادخار الدخن[3]،وتنافس أهالي فاس في العهد المريني على ادخار،الأقوات لمدة سنتين وأن الرجل يُدخِر قوت سنتين من الحنطة ، ويشتري قوته اليومي من الأسواق حِفاظا على مدخراته،واتخذ المطامير والأهراء في الأراضي الصلبة التي لا يُخاف عليها التَغور والهدم[4] ونبَّه ابن الخطيب إلى ضرورة معرفة نوع التربة غير الصالحة لاتخاذها مطامير ، وأن مدينة مكناسة مناخها سليم مناسب للخزن على عكس مدينة سلا[5]،وقد جمعت مكناسة بين الهواء الطيب والماء العذب والتربة الجيدة[6].

ولعبت المستودعات،والمطامير ،والأهراء دورا كبيرا في الصمود أمام المجاعـــات والحصارات،ويعود صمود مدينة تلمسان أثناء الحصار المريني في بدايةالقرن8ه/14م إلى حسن تدبير خازن الطعام "ابن جحاف" للأقوات المدخرة ، وبعد رفع الحصار من طرف السلطان أبو يوسف يعقوب المريني(ت685ه)،استدعى السلطان أبو زيان ابن جحّاف خازن الزرع ، وسأله عن عدد المطامير والأهراء المختومة، فذكر له أنه بقي عولة اليوم والغد فاستوصاه بكتمانها [7] .

---

[1] ابن الخطيب: المصدر السابق ، معيار الاختبار، ص102 .

[2] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص196-197 .

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص42.

[4] عبدالهادي البياض: المرجع السابق ، ص197.

[5] ابن الخطيب: المصدر السابق ، معيار الاختبار، ص50 -78 .

[6] ابن الخطيب: المصدر السابق ، نفاضة الجراب ، ج 3 ، ص382 .

[7] ابن خلدون: المصدر السابق ، العبر ، ج7 ، ص129.

دعّم الموحــدون و المرينيون بناء "**القلهرات** "(كلمة إسبانية calahorra ومعناها الخزيـن الذي يُخزن فيه الخبز لتوزيعه على السكان عند حدوث مجاعة أو ضائقــة في المؤونـةعظيمة البناء سامية في الجو)لحفظ أنواع القمح الذي كان نادرا في سبتة [1].

إلى جانب المطامير،الاهراء ،والقلهارات برع بنو العزفي في سبتة وبنو مريــن من بعدهم في إعداد الفنادق بكثرة ، تجاوز عددها 360فندق ،أعظمها بناء وأوسعها ساحة الفندق الكبير المُعِد لاختزان الزرع، في عهد محمد بن القاسم العزفي (ت636هـ) ونظرا لأهمية هذه المخازن كان السلطان يتدخل في اختيار أماكنها وتصميمها[2].

وفي العهد المريني أصبحت مدينة فاس، تزخر بتجميع المطامير في موضع مخصص قرب قصبتها، يسمى "المرس" (وهو مخزن حكومي للغلال يحيط به سور وله باب وغلق) ، ويذكر الوزان (ت القرن9هـ)أن **المرس** عبارة عن مطامير منحوتة في جبل من حجر الكلس حيث توجد حفرة عميقة ، تُحفظ فيها الحبوب لسنين عدة ،سِعَة بعضها أكثر من 200مد[3]،وللتخوف من المصير المجهول، اتخذت أفنية المساجد ودكاكينها مخازن للحبوب والحطب[4].

4 . المساعـدات و الهبــات:

لما تظهر الشدائد والخطوب الكبرى،يقوم الناس بمد يد المساعدة لبعضـهم البعض لمواجهتها،أو التخفيف من حدة أثارها يقول ابن الزيات(ت617هـ)أن أبو علي عمر بن يحي الزناتي اخبَره مُخبِراً قائلًا له: كنا ببجاية والمجاعة شديدة، فمرَّ بنا أبو زكريا يحي بن علي الزاوي(ت611هـ) وقد اكترى فندقًا ب300دينارًا،وطلب من وُجهَائها مساعدة الفقراء بما استطاعوا ، ولما اجتمع عنده كثير من المال،دفع كراء الفندق ووزع الباقي على المساكين، فأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب العام الموالي[5].

---

[1] عبدالهادي بياض: المرجع السابق ، ص207 .

2 نفســـه ، ص210 .

3 حسن الوزان : المصدر السابق ، ص 194 .

4 الونشريسي : المصدر السابق ، ج7 ، ص 231 .

[5] ابن الزيات: المصدر السابق ، ص 429 .

وفي سنة616هـ/1219م أقدم الخليفة الموحدي المستنصر بالله ، على مواجهة أثر المجاعة التي كانت بسبب القحط وهجمات الجراد ، على فتح المخازن، لاحتواء الأزمة حيث فُرِقت على العـــامة ، فكانت بثمن للأقويـــاء وبغير ثمن للضعفـــاء ، وفتحَ بيت المال، لتوزيع الأمـــوال على المحتاجين حتى تحسنت الأحوال[1]، ومن القرائـــن ما رواه التادلي في تشوفه قوله:أن امرأة من أهل أغمات اضطرتها المجـــاعة إلى عرض دارها للبيع لتكف نفسها ، وأهلها عن التسول ، فلما جاء أبو العباس الهواري لمعاينـــة الـــدار المقدر ثمنها500 دينار قيل له أن في الدار المرأة وبناتها ، أجبرتهم الحاجـة على بيـع الدار،فدفع لها الثمن وطلب منها البقاء في البيت وهي على مُلكها،والمال لها تتصـرف فيه لسَّد فاقتها[2].

ولمادخل أبوالحسن الشاذلي(ت628هـ)مدينةتونس،قال:"فوجدت مجاعة شديدة،والناس يموتون جوعا في الأسواق،فأشفقت على خلق الله...وأتِيت خبازًا فقلت له عُدَّ خُبزَك فعده عليَّ فناولته للناس فتناهبوه...فأعطيته بُرنُسِي وكرزتي رِهنًا في ثمن الخـــبز"[3]، وباشتداد الغلاء والجوع ببلاد المغرب،خلال العقد الثاني من القرن7هـ/13م ، أمرالخليفة الموحدي العادل،بإفراغ أمداد كثيرة من الزرع ، ومبالغ كبيرة من الما ل، والكساء و وزعـها على الناس ، خاصة القمح ، لتوالي الشدة على أهل مراكش نحو سبعة أعوام[4].

أماأبي الحسن المريني،فكان يُخرج زرعه المُخزن الخاص به،ويوزعه على المحتاجين في كل ليلة، طيلة فترة الجدب، وسار على نهجه ابنه أبو عنان(ت759هـ)، فكان يُطعم الناس عنده، ويتولى ذلك بنفسه ويأمرقادة البلاد بذلك مدة الجدب[5]،وأسقط سلاطين بني مرين بعض الكلف ،الضريبية، وشجعوا التجار على بيع سِلعهم بأسعار معقولة[6] ،ونَوَهَ أبي زرع بجهـود السلطـــان المريني أبوسعيد عثمـــان، حيـــال المجاعـــة الناتجة عن

---

[1] محمد المغراوي: المرجع السابق ، الموحدون وازمات المجتمع ، ص 167 .

[2] ابن الزيات: المصدر السابق ، ص 153 .

[3] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 272 .

[4] نفسه ، ص 257 .

[5] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص 179 .

[6] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 260 .

السيول، والقحوط خلال الربع الأول من القرن8هـ/14م،حيث قال:"وضع أمير المسلمين في هذه الشدة والمجاعــة مع الرعية من الخير مالَا يَقْدِر عليه واحد على وصفه ، فتح لهم أهراء الزرع وأخرجه للبيع،فبيع بأربعة دراهم للمد والناس يبيعونه ب15درهما" [1] .

وزيادة على هذا فقد أطعم أبو سعيد وكسا عددا كثيرًا ،ودام على ذلك من 724هـ/ 1324م إلى منتصفها[2]،وأمر بتوزيع المساعدات طول أيام الشدة،فكان أهل الثقة يمرون بها على حارات المدينة ويعطونها لأهل البيوتَات والتَستُر وأصحاب الحاجات و الفاقــة لكُلٍ حسب حاله ، مابين ديناراً ذهبيًا إلى ربع دينار[3]، وفي المجاعــة التي ألمت بأهل تلمسان بسبب الحصارالمريني قام السلطان ابو حمو موسى بتوزيع نصف جبايته[4]، كل يوم على ضعفائها بعد جمعهم في الرحاب الفسيحة،ويقسم بينهم بالعدل،كما ضمهم في بمارستانات ، وينفـق عليــهم صباحًا ومساء في كل الفصـــول، حتى زالت المجــاعة ودَرَ الضرع ، كما فتح الأهراء ،وباع زرعها للناس بعد تخفيض سعره رِفقًا بهم[5].

قُبيل الطاعون الأسود عاش أهالي سَلاَ مجــاعة شديدة، فما كــان من الشيـــخ أبومحمد عبد العزيز الصنهاجي،إلا أن يُرسل ما وفره من أجرة تعليم القرآن لامرأة كـاد أن يقضي عليها الجوع لتنفقها على نفسها[6].

ثانيا- طرق استمـداديه (طلبـية) :

أسهمت الأزمات الطبيعية ،لاسيما التي كانت في شكل قحط ، مجاعات ، أوبئــة وزلازل...وغيرها التي ألَمَّت بسكان المغرب خــلال الفترة المدروسة ،في شــعور الإنسان بالذنب والتقصير، لذا لجـأ الى التحصن بالدين، لمواجهة هذا العقــاب الإلهي على حد تفسيره ، فأظهر التوبة الصادقة والدعاء للاستسقاء.

---

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق ، روض القرطاس ، ص530 .

[2] السلاوي :المصدر السابق ، ج3، ص179.

[3] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص259.

[4] حساني مختار: المرجع السابق ،ج2، ص59.

[5] عبد العزيز فيلالي :المرجع السابق ،ج1، ص255 ؛ يحي بن خلدون : المصدر السابق ،ج2، ص298 .

[6] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص277 .

1-الدعاء والإستسقاء :

نظرا لتوالي الأزمات الطبيعية، ومانتج عنها من آثارمدمرة، فقد لجأت سلطات الدول خلال الحقبة المدروسة للاهتمام بالجانب الروحي، من خلال تنظيم صلوات الاستسقاء لإدرارالمطر، وفق طقوس معينة،كزيارة أضرحةالأولياءلحصول البركة[1]،وفي سنة711هـ/ 1311م حل قحط شديد بالمغرب فاستسقى الناس، وخرج السلطان أبوسعيد ماشيًا على قدميه في يوم24شعبان من نفس السنة وتَقدَم امامه الصلحاء والفقهاء والقراء يدعون الله تعالى، وفَرَقَ صدقات،وفي يوم السبت خرج مع جنده نحو قبر الشيخ الصالح أبي يعقوب الأشقر، بجبل الكندرتين فدعا هناك،فرحم الله عباده وغاث أرضَه[2].

ودفعت وحدة المعاناة بسكان الأندلس،لتنظيم صلاة الاستسقاء، تضامناً مع سكان شمال المغرب،في العقدالأول من القرن7هـ/13م هذا إلى جانب التمسك بالأولياء،لسرعة الاستجابة في الاستسقاء ،ومن أمثلة ذلك أبو العباس السجلماسي أحمد بن محمد بن عبد الله، الذي كان يخبر أهله بنهاية القحط قبل الاستسقاء، ويحثهم على الاستعداد لريّ أراضيهم إذا جاء السيل، فكان مُجابَ الدعاء مابين صعوده المنبر ونزوله عنه[3].

ولما ضرب مدينة فاس قحط،طلَب أهلُها من الشيخ أبي يعلى أبي جبل للاستسقاء فما رجع رسولهم حتى غَيمت السماء،وغِيث الناس كما استعانوا بالشيخ أبي يعزى عندما طال بهم شبح الجفاف، فتضرع لهم وهطلت الأمطار[4]،وكان كُلَماعصفت كارثة طبيعية إلا وتاب الناس،وخافوا ولزموا المساجد، ضنًا أن هذا بسبب الفواحش،والفساد المرتكب من طرفهم[5]،وكانت صلاة الاستسقاء خلال العصر الوسيط،تتكرر بتكرر ظاهرة الجفاف،حيث يشارك فيها أغلب الأولياء[6].

---

[1] عبد الهادي البياض : المرجع نفسه ، ص 263 .

[2] السلاوي: المصدر السابق ، ج3 ، ص 178 .

[3] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 289 .

[4] جمال احمد طه: المرجع السابق ، ص 370 .

[5] السلاوي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 192 .

[6] الحسين أسكان: المرجع السابق ، ص 136 .

وقد كان الصبيان في زمن الجفاف، يمرون بشوارع مدينة مراكش ،وهم يستغيثون ويسألون المطر،كما كان المتصوفةيخرجون للاستسقاءبالناس،فهذا أبوالعباس السبتي (ت617هـ)كان يخرج ببعض شيوخ المتصوفة،كأبي يعقوب المبتلى،وأبي الحسن البلنسي وأبي يعقوب الحكيم،إلى خارج أبواب مراكش،وطلبـــوا من أبي الحسن الاستسقاء،حيث كان وقت جدب،واحضر أبوالحسن طعاما كثيرا،فأكلوا ،وقال أبو يعقوب المبتلى متـــى يستسقي لناأبوالعباس؟فلم أراه يدعُ،وبعد رجوعهم إلى المدينة،قال له يا سيـــدي خَرجتَ للاستسقاء ولم تستسقي لنا،فقال:قد استسقينا لكم بالطعام الذي أكلتم، وقد رويت البـــلاد وسُقينا،فقلت له:متى سُقينا؟فقال لي:بل سُقينا في غير هذه الأرض،وغداً نسقي،فكـــان في اليوم الثاني مطرا وابلا [1] .

وخلال القرن7هـ /13م لما حل بفاس غلاء ومجاعة،خرج الناس مع أميرهم يستسقون ولماسمِعوا بأبي الحسن الشاذلي سألوه أن يستسقي بهم، فامتنع عن ذلك،وذكرهم بأنهم ربما أصابوا معصية في هذا العام، ولما عاتبه شيخه عبد السلام بن مشيش(ت622هـ) رجع أبو الحسن إلى فاس والقحط متواصل، فقال"فعند وصولي لفاس وبت هناك وكان آخر الليل أزعجت ،وأبرقت ،ونزل غيث كأنه من أفواه القِرب"[2] .

ولما أصاب أهل بجاية جفاف،أرسل علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي المعروف بالحرالي(ت637هـ)،في طلب الماءمن كريمةجاريته ليَسقِيَّ الفقراءفردت الرسول مُمتَنعِة عن ذلك فسمَع كلامها،وقال للرسول:قل لهاوالله لأشرُبَنَ من ماءالمطر الساعة ورفع يديه إلى السماء يطلب المطر،وماكاد المؤذن يختم آذانه حتى أمطرتِ السماء بغزارة [3] وبتولي أحمد بن أبي زرع الإمامة والخطبة بجامع القرويين، وحلت بالناس سنة قحط، فطلبوا منه الاستسقاء، فَصَل بهم خارج باب الفتوح،وتشفع بهم كما فعل عمر بن الخطاب بالعباس،فسُقي الناس وحمدوا الله[4].

---

[1] ابن الزيات : المصدر السابق ، ص 474 .

[2] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص265 .

[3] أحمد بابا التنبكتي : المصدر السابق ، ص 320 .

[4] ابن الأحمر: المصدر السابق ، ص63 ـ64 .

4- الصدقـات والكرامـات :

لقد ترسخت لدى إنسان بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، فكرة دور الصدقات والأعطيات في تفريج الكربات والنوائب،لكثرة الأزمات الطبيعية،وما نتج عنهامن شدائد.

لقد كان البحارة والتجار والمسافرون بحرًا، يتخذون من الصدقات وسيلة لتأمين مخاوفهم، مما قد يلحَق بهم من كوارث وعواصف بحرية،فيعتبرون التوبة والإنفاق على المحتاجين عاملًاأساسيًا في تأمين الرحلة،وتسكين هيجان البحر،فصارمعلوماًإذا هاج البحريُقدمون صدقةًلفقرائهم، بنِية دفع هذه الشدة[1]؛وصارمن المعتادعليه،وحسب المنطق الديني،أن الإنفاق هوالكفيل بتغييرحال الكوارث والقحوط واستجلاب الغيث واقبال الخِصب والرخاء والأمن،ولهذا أصبح من آداب زيارة ضريح الشيخ أبي مدين من أجل قضاءالحاجات،ورفع النوائب:التسليم على الشيخ من غيرتقبيل ثم الدعاءحسب الحاجة وتقديم صدقة للضعفاء والمساكين الملازمين على باب الضريح، إذا تيّسر الأمر[2].

وبناءعلى ذلك اصبحت الصدقة،شرطالازما ومطلبا لابد منه ،اذا أريد تغيير الاوضاع نحو الاحسن ، فكانت عادة أبي العباس السبتي،انه لاَيدْعُ لأحد إلا بعد تقديم صدقة[3] ،ومن خلال معاناة أهالي بلاد المغرب من الازمات الطبيعية،كان السبتي وفيًا لمنهجه في الصدقة،ففي احدى القحوط طلب منه الناس الاستسقاء،فقال لهم من كان عنده شيء فليتصدق به ، وكان معهم رجـــل فقير، فقـــــال: عندي ثمن درهم أعددتـه للزيت، فقال له: تصدق به، ففعل ،فقال أبو العباس: في هذا جاء الخبر، سبق درهم مائة ألف درهم...ثم قال: بادروا المطر،فما وصلوا باب الدباغين، حتى نزلت المطر[4] .

---

[1] عبدالهادي البياض : المرجع السابق ، ص278 .

[2] ابن قنفذ : المصدر السابق ، انس الفقير ، ص 106 .

[3] البادسي عبد الحق بن إسماعيل(ت722هـ):المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصُلحاءالريف، تحقيق سعيد أعراب،ط2، المكتبة الملكية ، الرباط ،1414هـ/1993م ، ص 97 .

[4] ابن الزيات : المصدر السابق ، ص 467ـ468 .

وفي إحدى السنوات العجاف، عانى مزارعو مراكش من شدةالجفاف، فكادت تهلك محاصيلهم، فطلب أبوالحسن البلنسي الجنان من السبتي الاستسقاء للمزارعين، فقال له:قل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا،فبقدر ماأنفقتم تمطروا،وبهذا جعل الصدقة شرطا لإحياء الأراضي البواربنزول الغيث[1]،وكماكان مذهبه قائماعلى التضامن والتكافل خاصة خلال الشدة،فكان يقول:« بإعطاءالشطرتكون الوقاية من النار،وبإعطاءالثلثين يكون الاستسقاء ودخول الجنة،وانتهى إلى إعطاء تسعة أعشار والتمسك بالعُشر»[2].

ومن كرامات الأولياءوالصلحاء،أنه لما شبَّ حريق في أسواق فاس سنة646هـ/1249م وقف الشيخ الصالح عبد الله القشتالي، فقال:أيتهاالنارإلى أين؟ماذا حدث فارجعي بإذن الله،فتوقفت النار، وانطفأت بقدرة الله تعالى ولم تتعد ذلك الموضع[3]، ولما اكتسح الجراد بلاد المغرب شكا بني ورسفان، الى أبي عبد الله الهواري أَمَره فقال:ناولني واحدة فقبلها ونظرإليها ثم رماهابالأرض، وقال لهم انصرفوا ولا تحاربوه فإنهم جُند من الله،ثم انصرفنا إلى منازلنا،وفي المساء خرجنا فلم نجد منه ولا واحدة [4].

ويذكر خادم الشيخ أبوزيد الهزميري لما حلّت بفاس مجاعة شديدة سنة673هـ/1273م أنه أتى بحمل من دقيق القمح من دار الشيخ، في شهر رجب فجعلته في خابية، أدخل الشيخ يده فيه، وحذرني أن يراه غيري أو يأخذ منه شيئا،فكان الناس يأتون بالمائةوالمائة والخمسون يأخذون من هذا الدقيق، حتى دخل شهرمحرم فكفى الجياع طيلةفترةالمجاعة[5] وفي حالة وقوع وباء شديد في بلدة ما، كان الموسورون

---

[1] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص282 .

[2] ابن الزيات: المصدر السابق ، ص473 .

[3] ابن ابي زرع : المصدر السابق ، الذخيرة السنية ، ص 73.

[4] ابن الزيات : المصدر السابق ، ص180 ـ181 .

[5] عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 274 .

يُوصون بجزء من أملاكهم في حالة شعورهم بدنو أجلهم، فتنفق لافتداء الأسرى أو في بعض جهات البر والخير[1].

وبسبب القحط الذي أصاب بلاد المغرب سنة711هـ/1311م خرج السلطان أبوسعيد عثمان ماشيا للاستسقاء،وفرق أموالا وصدقات على الفقراءوالمحتاجين،ثم توجه إلى قبر الشيخ أبي يعقوب الأشقر ودعا هناك فنزل الغيث[2]،وفي رواية ابن قنفذ لما زار تلمسان وكانت مجاعة776هـ/1374م وأقام بها شهر وكلما أرادالخروج منها، منعه وزيرهاخوفاًعليه من انعدام الأمن بالطرقات، فلجأ إلى قبر الشيخ أبي مدين وركع هناك وقرأ القرآن وسبح وهلل، ثم قال:"ياسيدي أبى مدين نحن أضيافك وقد نزلنا بجوارك..والغرضَ تيسيراً لانتقال والحفظ في كل الأحوال،اللّهم إنا نتوسل إليك بأنبيائك وأوليائك ، يسرلنا في ذلك ياسميع الدعاء، وكررت الدعاء مرارا وصليت على سيدنا محمد وحمدت الله وانصرفت فيسرالله تعالى علي فيما طلبت ،ورفع ما آمُله ،وارتحلت..ورأيت في طريقنا

من انقلاب الشرخيرا"[3].

وقد دَأبَ على هذا المنهج صلحاء المغرب، أبو العباس السبتي، الشيخ أبو يعزى،وأبو مدين، هؤلاء وقع لهم النفع في حياتهم وبعد مماتهم،فكان مذهبهم مدرسة في التضامن ، من خلال الأزمات ، وسار على نهجهم بعض الأندلسيين[4].

[1] كمال أبو مصطفى: المرجع السابق ، ص 26 .

[2] السلاوي : المصدر السابق ، ج3 ، ص178.

[3] ابن قنفذ : المصدر السابق ، أنس الفقير ، ص105 .

[4] عبد الهادي بياض : المرجع السابق ، ص 284 .

3 ـ الطقوس السحرية و الخرافات:

أملت الأزمات الطبيعية،التي واجهها انسان المغرب عليه ردود أفعال يعتريها الاضطراب،فأصبح يُفكر في الخلاص منها بأية وسيلة،فانساق وراء الخرافات والطقوس السحريةوالشعوذة دون بذل جهد في كسب قوته،والابتعاد عن التواكل،وانتظارالمجهول.

نتج عن ضعف الوعي الديني وتدني الإدراك العلمي،تعلق الانسان المغربي بالتنجيم والسحر والعرافة ،لمواجهة الأزمات الطبيعيةالمتكررة،حيث أشار ابن خلدون في مقدمته إلى انتشار ظاهرة التشوف في المدن، لعلمهم بحِرص الناس عليه فكانوا ينتَصِبُون في الطرقات والدكاكين، فَتغْدُوا عليهم النساء والصبيان وضعفاء العقول، لاستكشاف غَيبِهم ما بين خط الرمل (المنجم) ، والطرق بالحصى والحبوب (الحاسب) والنظر في المرايا والماء(ضارب المندل)[1] .

وكان الناس يقصدون المنجمين والكهان والسحرة، لإدعائهم القدرة والسيطرة على الأزمات الطبيعية، وفق طقوس لاستجلاب المطر،فسكان غمارة كانوا يستغيثون بالساحرات، لاستدرار المطر فاشتهرت في أغمات زينب النفزاوية ، ومما يؤكد انتشار ظاهرة الخرافات عرض طقوسها على أهل الفتوى، حيث((سئل ابن لب عن رجل ادعى أنه يرفع المطر على الخلق ثمانية أعوام ولا يرحمهم بقطرة))[2] .

كما عرف إنسان بلاد المغرب طقوسا احتفالية لاستدرار المطر، خلال وقت القحوط شبيهة بالأساطير البدائية ،كاعتقادهم بوجود أرواح شريرة في بعض الحيوانات

[1] عبد الهادي البياض: المرجع نفسه ، ص136- 137.

[2] الونشريسي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 395 .

وبالتـالي لابد من تدميرها وذلك بتقديم الحيوان قربانًا للذبح أو الحرق، فكانت بعض القبائل تربـط فروع أشجار العشر،[1]والسلع في أذناب البقر ويصْعَدونَها الجبل ثم يضرمون النار فيها زعما أنهم يمطرون من وقتهان و اقتبس إنسان المغرب عن الأندلسيين الاحتفـــال بعيد المهرجان، كعيد فلاحي يوم24جوان، فيشعلون النار ويقفزون عليها، ويرش بعضهم بالماء، رمزًا للخصب و ادرار المطر [2].

وأمام عجز الفلاحين المغاربة عن دفع خطر الجفاف والجراد وغيرها من الجوائح بوسائله التقليدية، لجأوا للأسلوب الخرافي الذي سادعندالعوام[3]،مثل ماحكاه أبو الخير،أن الجارية التي آن نكاحها إذا أخذت ديكا وهي حافية عريانة، منشور شعرها ثم طافت به حول الزرع، فإن ذلك الزرع يسلَم من الآفات، وان كان زوان فيه يهلك لوقته وهناك خرافات جاءت، في صيغ إرشادات فلاحية ، أنه إذا أخذ خرق حيض جارية عذراء أول ما تحيض فدفنت في حرث أو وسط القرية سَلِم الله تعالى ذلك الحرث أو القرية من البرد ،وكن النساء يشترين اللبن في أول ليلة من شهرمحرم، وهي رأس السنة حتى تكون السنة كلها بيضاء [4] .

[1] العشر: شجر ناعم النبات شديد الخضرة، ينبت صاعدا أوراقه عظيمة، ثمره أخضر، لا يأكلـه الحيـوان ، ينبت في بطون الأودية أو الرمل.أنظر التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن حمد: رحلة التيجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، د ط ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981 م ، ص313-314 .

[2] عبد الهادي بياض: المرجع السابق ، ص142ـ 145 .

[3] التيجاني : المصدر السابق ، ص64 .

[4] عبد الهادي البياض: المرجع السابق ، ص 153.

خـــاتمـــة

من خلال بحثنا في هذا الموضوع ، حاولنا تسليط الضوء على العديد من القضايا المتعلقة به ؛ فتوصلنا إلى جملة من الاستنتاجات .

يمكن الإشارة إلى أن الأزمات الطبيعية لم تقتصر على جانب دون آخر في منطقة معينة ، ومن هذا المنطلق فإن تناولنا لهذا كان وفق تصنيف موضوعي ؛ جوائح طبيعية (زلازل ، جراد ، حرائق)ومنعطفات مناخية(سيول ،أمطار ،الثلج والبرَد..)، وقد لايكون هذا كافياً للتوصل إلى نتائج مقنعة، لأن ما ورد في المصادر والمراجع المُتحصل عليها خلال الحقبة المدروسة (7-8هـ/13-14م) ، لايزيد في أكثره عن إشارات ، ونُتف متفرقة ، وجداول بيانية ولوائح رقمية لا تسمح بالإلْمَام بهذا الموضوع .

من خلال المادة المصدرية التي اطلعنا عليها توصلنا، إلى أن المجتمع المغربي لم يسلم من هذه الأزمات ، فكان القرن7هـاكثرعرضة لها مقارنة بالقرن8هـالذي كان قليلا ما تحدث فيه أزمة ، وأن السنوات الأكثر تضرراً وحِدة مابين (723-725هـ/1323-1325م) وتوالت الأزمات إلى غاية775هـ/1374م .

والمُلاحظ أن الجوائح الطبيعية،كان بعضها يتناسل من بعض،كارتباط الفيضانات بكمية الأمطار المتساقطة،وهذه الأخيرة إذا قلَّت أو انعدمت تسببت في الجفاف، ونُقص المحاصيل الزراعية،وبالتالي تكثر الأمراض؛المجاعة؛الأوبئةوالموَتان،كمايَصحبُ تساقط الثلوج عواصف بردية ورياح قوية، تسبب أضرارا كثيرة على جميع الجوانب،كالاقتصادية مثلا قلة مردودية الإنتاج،وبالتالي غلاءالأسعار،خاصة القمح والشعير،اللذان يمثلان العنصر الأساسي للغذاء.

كما تم الكشف على أن أكثر الأزمات التي حدثت في بلاد المغرب، كانت بمراكش وفاس أكثر عرضة لها من جميع الأزمات، وتليهما تلمسان وسبتة(زلازل ، قحط وجفاف) ذلك لتركيز أغلب المصادر عليهم .

وفيمايخص ماخلفته الأزمات، من آثار سلبية على القطاع الزراعي والصناعي، فقد نتج عنها إتلافا للمحاصيل ، وهدما للمصانع والمحلات التجارية وغيرها؛إضافة إلى ما أحدثته من خسائر في الثروة الحيوانية من قتلٍ للبهائم،المواشي والخيول،أما على الجانب الديمغرافي

فكان من تأثيراتها، أن عمت المجاعة والأوبئة ، وهذا ما أدى إلى ظهور الفقر، وبالتالي أصبح التسول هو الحل للخروج من هذه الأزمات، فكثرت أعمال السطو واللصوصية ، نظرا للحاجة، كما كثرت الوفيات وأصبحت بمئات الآلاف ، حتى أنهم كانوا يهاجرون للنجاة بأنفسهم من الهلاك ، ولجأ البعض إلى المنجمين مصدقين لخرافاتهم ، لغياب عقلية النقد لديهم ، وأثرت الأزمات على ذهنياتهم وسلوكاتهم فاعتقدوا أن حدوثها يكون بسبب تكسير أحد الطلاسم المدفونة .

لجأ الإنسان المغربي إلى طرق مختلفة ، للتخفيف من حدة المجاعة ، كتخزين القمح في المطامير، القلهرات ، الأندر، المخازن و الأهراء .

وللتلطيف من قسوة الظروف الطبيعية ، ظهرت ثقافة الصدقة ، وترسيخها سواء من طرف الأولياء أو الدولة ، إذ شكلت عنصرا هاما في سلوك ومذهب أغلب المتصوفة ، حتى أنهم ربطوا كثرة الصدقة بالغيث كأبي يعزى وأبي مدين والسبتي ، قال التادلي " الوجود ينفعل بالجود " .

كما قامت الدولة ببناء الجسور والقناطير كإجراء وقائي من الفيضانات المدمرة ، وهذاَ دليل على محاولة السلطة الحاكمة الحد من الكارثة وحماية الناس ، أما وقت الجفاف فكانوا يخزنون المياه في البرك ، الصهاريج ، الجباب ، النطاف و المواجل .

حسب اعتقاد المغاربة، أن الطقوس الخرافية والسحر لعِبت دورا، في التخفيف والقضاء على بعض الآفات ، كاعتقادهم إنْ قَبَّل أحد الأولياء جرادة ، يكون ذاك العام خال من آفته و يزول ، كما كان للصلحاء الدور البارز في تثبيت منهج التكافل والتضامن الإجتماعي، للتخفيف من أثر الأزمات ، وذلك بتقديم مساعدات للمحتاجين والمتضررين، فأصبح سلوكاً إجتماعيًا مُتأصلا ، في ممارسات الإنسان المغربي .

- ونوصي طلبتنا بإتمام هذا العمل والبحث فيه جيدا خاصة في جانب كيفية تعايش الإنسان المغربي مع هذه الأوضاع و وهل نجاح في التخفيف من حِدت الازمات .

الملاحق

نوع السلعة	سعرها وكميتها	الزمان والمكان	السبب	المصدر / المرجع
القمح	بيع القفيزمنه بـ15دينارا	624هـ/1228م ارتفعت أسعار المواد الغذائية بالمغرب	الجراد	محمد المغراوي:الموحدون وأزمات المجتمع،ص168.
	سعر القفيز منه بـ 80 دينارا	630هـ/1232م نقصت الغلات وقلت مردودية الأرض بالمغرب		السلاوي: الاستقصاء،ج1 ،ص21.
الشعير	بلغ المد منه 7دراهم	630هـ/1232م نظرا لحصار سبتة	المجاعة	الحميري:روض المعطار ص605.
القمح	مكيال القمح الذي مقداره 12.5رطل بمثقالين ونصف من الذهب	أواخر القرن 7هـ في تلمسان غلت الأسعار ولأقوات والحبوب	/	عبد الرحمان بن خلدون: العبر،ص128.
القمح الفحصي	المد الواحد منه 7دراهم وربعه إلى 37 درهما	632هـ-634هـ /1234م-1236م نظرا للغلاء في أسواق مراكش	المجاعة	محمد المغراوي:الموحدون وأزمات المجتمع،ص170.
القمح	وصل وسق القمح إلى 30دينارا	630هـ635هـ/ 1232م-1237م في المغرب		محمد المغراوي:الموحدون وأزمات المجتمع،ص171.
الشعير	بلغ سعره 3دنانير للسطل	653هـ/1255م في المغرب ارتفعت الأسعار	فيضانات	البيذق:أخبار المهدي بن تومرت،ص53.
	وصل الصاع منه إلى 10دراهم	679هـ/1280م في بلاد المغرب	الجراد	ابن أبي زرع:القرطاس ص405.
القمح	بلغ المد منه بـ 10دراهم	690هـ/1291م في مدينة تلمسان ارتفعت الأسعار	الجفاف	مختار حساني:تاريخ الدولة الزيانية ، ج2 ص59.
	بلغت أسعار القمح 10دراهم للمد	690هـ/1291م في المغرب الأقصى،الأوسط وإفريقية		مختار حساني : تاريخ الدولة الزيانية ، ص59.
	وصل المد منه 15درهما والصحفة 90دينارا	724هـ/1323م بأسواق فاس وارتفع سعره	المجاعة والسيول	ابن لأبي زرع الفاسي : روض القرطاس ص414.

ملحوظة: أشارت المصادر والمراجع التاريخية،أن الأزمات الطبيعية ساهمت بشكل كبير، في غلاء الأسعار، خاصة الفيضانات والجفاف وآفة الجراد والسيول، التي كانت لهم آثار سلبية على المحاصيل الزراعية، وبالتالي يؤدي هذا إلى نقصان المحاصيل الزراعية المتمثلة خاصة في القمح والشعير، اللذان يعتبران من أساسيات الغذاء عند سكان أهل المغرب بين الفترة الممتدة (624هـ-724هـ)/(1228م-1323م)، كما ألاحظ أن بين سنة(624هـ-630هـ/1228_1234م)،حوالي6سنوات ازداد سعر القفيز من القمح من 15إلى80دينارا بحيث تُعتبر قفزة نوعية في السنة الممتدة بين(690-724هـ/1291_ 1323م حوالي 34 سنة،وصل المد من القمح من10 دراهم إلى 15 درهما أي لم يرتفع كثيرا حوالي 5 دراهم فقط ربما هذا راجع لنوع الآفة .

السنة	نوع الأزمة	المنطقة المتضررة	مظاهر الأزمة	المصادر/المراجع
600هـ/1204م	زلزال	سبتة	المصادر لم تتحدث عن نتائجها التي يبدو أنها كانت ضعيفة	محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع،ص77،165.
605هـ/1208م		تونس	تركت آثرا سلبية على الإنسان والعمران نظرا لهزاته الارتدادية	
616هـ-617هـ/ 1219م-1220م 619هـ/1222م	جراد	بلاد المغرب	توالت على المزارع أسراب الجراد فترك الأشجار عارية	البياض:الكوارث الطبيعية في المغرب والأندلس ص.68،66 .
624هـ/1227م			اشتداد الغلاء	
646هـ/1248م	حريق	فاس	أتى على أسواق المهن فاحترقت حارة باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحمة	السلاوي : الاستقصاء ج1 ، ص311.
651هـ/1253م	زلزال	بلاد المغرب	وقعت زلزلة عظيمة في بلاد المغرب اهتزت الأرض بها بمن عليها	ابن عذارى:بيان المغرب (الموحدين)،ص402.
672هـ/1274م		مدينة العرائش	لم تذكر	البياض:الكوارث الطبيعية،ص77.

679هـ/1280م	جراد	بلاد المغرب	أكل جميع زروعها فلم يترك فيها مخضرا	ابن أبي الزرع : روض القرطاس ص408.
683هـ/1284م			لكثرة هجماته أطلق على هذه السنة عام الجراد	البياض : الكوارث الطبيعية ص68 ،73 .
723هـ/1323م	حريق	فاس	شب حريق بسوق العطارين	
766هـ/1368م	زلزال	الجزائر	قال يحي بن خلدون((نعوذ بالله من الخسف وسوء المنقلب))	يحي بن خلدون:بغية الرواد ج2 ، ص149.
العقد الأول من القرن8هـ/14م	جراد	بلاد المغرب	لم تذكر	البياض:الكوارث الطبيعية ص68 .

الملحق03:جدول للمنعطفات المناخية في بلاد المغرب خلال الحقبة المدروسة(7-8ه/13-14م)

السنة	نوع الأزمة	المنطقة المتضررة	مظاهر الأزمة	المصادر / المراجع
607ه/1210م		المغرب	موجات من الجفاف أدت إلى مجاعة طاحنة وانتقلت تأثيراتها إلى الأندلس على مدى سنين	ابن عذارى: بيان المغرب(الموحدين) ص259 .
614ه-638ه/ 1217م-1240م	القحط والجفاف	بلاد المغرب	لم تذكر	البياض: الكوارث الطبيعية ص، 26 -27.
616ه-617ه/ 1219م-1220م		العدوتين(المغرب الأندلس)	تسببت في مجاعة حادة وتزامن هذا مع أزمة الجراد	محمد المغراوي : الموحدون وأزمات المجتمع ، ص 167.
618ه/1223م		بلاد المغرب	لم تذكر	مجموعة كتاب: رسائل موحدية ، ج2 ص186.
620ه/1223م		مراكش	لم تذكر	البياض : الكوارث الطبيعية ، ص 27.
624ه/1227م		بلاد المغرب	لم تذكر	أبي زرع : روض القرطاس ص328- 330.
626ه/1229م	الأمطار والسيول	فاس	فيضان وادي فاس الذي يبعد عن المدينة بنحو 3 أميال ويصب في وادي سبوا	جمال أحمد طه : مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص204.
632ه/1235م		مراكش	أمطار قوية متوالية دون توقف بعد الجفاف	ابن عذارى: بيان المغرب ، ص315.
	القحط والجفاف		أمطار غزيرة كانت سببا في تفشي الوباء	ابن عذارى : بيان المغرب ص، 345.
653ه/1256م	الأمطار والسيول	فاس	فيضان وادي فاس هدم باب السلسلة وفتقت جزيرة ميلة وأكل البحر طنجة إلى الجامع	البيذق :أخبار المهدي بن تومرت ص 52- 53 .
	القحط والجفاف		دامت هذه الرياح الشديدة 50يوما بلياليها وأحدثت خرابا	
674ه/1275م	سيول وأعاصير	المغرب (تامسنا)	سيول جارفة ألمت بتامسنا حالت دون عبور المرينيين إلى الأندلس	ابن أبي زرع : روض القرطاس ص419_431.
677ه/1278م				
679ه/1280م	القحط والجفاف	بلاد المغرب	تزامنت فترة القحوط مع هجمات الجراد التي مسببة المجاعة	السلاوي : الاستقصاء، ج3 ص89.

688ه/1290م	القحط و الجفاف	تلمسان	قال العبدري أنه ساد بتلمسان جفاف وقحط فلا يمكن أن ترى في أرجائها للضمآن ماء	العبدري : الرحلة المغربية ، ص 27.
711ه/1313م		بلاد المغرب	لم تذكر	السلاوي :الاستقصاء ،ج3 ص 178.
722ه/1322م	الأعاصير والرياح	فاس، مكناسة تازة	استمرت هبوبها ليلا ونهارا تسببت في تعطيل الأسفار وخربت الديار	ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 412- 543.
722ه/1322م و 723ه/1323م	الأمطار و السيول	بلاد المغرب	حدثت سيولا متقاوتة الخطورة واضطرابات وتقلبات مناخية قطعت المدن عن بعضها	
723ه/1323م	//	فاس	توالت الرياح وخربت الديار واشتد البرد وعدم الحطب وبيع بأغلى الأثمان	السلاوي :الاستقصاء ،ج3 ،ص179.
724ه/1324م	قحط وجفاف	بلاد المغرب	لم يذكر	سعيد بنحمادة : الغرب الإسلامي ص120.
	الأمطار والسيول		نزل مطر وابل سالت منه السيول الطامية	السلاوي: الاستقصاء ص179.
	ثلج وبرد		أحدث خرابا كبيرا في المزروعات كالكروم	
725ه/1325م	الأمطار	فاس	دخل سيل كبير للمدينة كاد أن يهلكها	البياض : الكوارث الطبيعية ص57-58 .
758ه/1357م	الأعاصير والرياح والسيول	بلاد المغرب	فيضانات جارفة اعترضت أبي عنان المريني لما توجه لإخضاع قسنطينة وأعاصير هوجاء حالت دون مواصلته	
763ه/1361م	الأعاصير والرياح	المغرب	هبت رياح عاصفة قادت سحب قاتمة تسببت في سقوط الأمطار فسالت الأرض	

الورّاقيـة

أولا-المصـــــــــــادر:

[1]-ابن الأحمر(ت807هـ/1405م): تاريخ الدولـــــة الزيانيــة بتلمسان، تقديــم وتحقيـق وتعليق هاني سلامة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد،1421هـ/2001م .

[2]-الآشي التونسي شمس الدين محمد بن جابر(ت749ھ/1348م):برنامج ابن جابـــــر الوادي الآشي،تقديم وتحقيق محمدالحبيب الهيله من التــراث الإسلامي كلية الشريعـــة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ـالمملكة العربية السعودية، 1401ھ/1981م.

[3]-الأنصاري السبتي محمد بن القاسم:اختصار الأخبار عمّا كــان بثغر سبتة من تسني الآثار،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط2،دن،الرباط،1403ھ/ 1983 م.

[4]-البادسي عبد الحق بن إسماعيل(ت722ھ/1322م):المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصُلحاءالريف،تحقيق سعيد أعراب، ط2، المكتبة الملكية،الرباط،1414هـ /1993م .

[5]-ابن بطوطةاللواتي الطنجي شمس الدين بن عبدالله محمد بن عبدالله (ت779ھ /1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصـــــار وعجائــب الأسفار المسماة رحلـة بن بطوطة،قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي،أكاديمـــــية المملكــة المغربية،1417ھ/1997م ، ج 1.

[6]-البيذق أبي بكر بن علي الصنهاجي(ت القرن6هـ/12م):أخبــار المهـــــدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين،دط،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1971م .

[7]-التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحي ابن الزيات(ت617ھ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق ، ط 2، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1997م .

[8]-التنبكتي احمد بابا(ت963ﻫ/1555م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم وإشراف عبد الحميد عبد الله الهرامة وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلاميـــة ط1، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس,139، هـ/1989م ، ج 2 .

[9]-التيجاني أبو محمدعبد الله بن محمد بن حمد(717هـ/1217م):رحلـــة التيجاني تقديم حسن حسني عبد الوهاب ،د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981 م .

[10]- الحميري محمد بن عبد المنعم:الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مـع فهارس شاملة، حققه إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ـ لبنان، 1975م .

[11]-ابن الخطيب لسان الدين(796ﻫ /1393م): معيارالأخبار في ذكر المعاهد والديـــار مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس(مجموعـــة من رسائـله) تحقيق أحمدمختارالعبادي ، دط ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1983م.

[12]-...: نفاضة الجراب في علالةالاغتراب تقديم وتحقيق السعدية فاغية،مطبعة النجـاح الجديدة،الدار البيضاء-الرباط،1409هـ/1989م ، ج3.

[13]-بن خلدون يحيى أبي زكرياء بن ابي بكر محمد بن محمـد بن محمد بن الحســن (ت780ﻫ/1378م) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبدالحميد حاجيات ، طبعة خاصة تلمسان عاصمة الثقافية الإسلامية ، عالم المعرفة ، الجزائـــر 2001 م ، ج1/ج2 .

[14]-ابن خلدون عبدالرحمان بن محمد(ت808ﻫ/1405م):مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، 2001م.

[15]-....:تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريـــــخ العــرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحـادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر ,بيروت ـ لبنان،1421هـ/2000م، ج7 .

[16]ـ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م): سير أعـــلام النبلاء، حقـق نصوصـــه وخـــرج أحاديثـــه وعلق عليـه شعيب الأرنؤوط وأكـــرم البوشي،ط2،مؤسسة الرسالة،بيروت،1404هـ /1984م ، ج16 .

[17]الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد (ت666هـ/1267م):مختار الصحاح ، تحقيق يوسف محمد، ط5،المكتبة العصرية،بيروت–صيدا، 1420هـ/1999م، ج1 .

[18]–ابن رشد القرطبي أبو الوليد بن محمد بن أحمد (ت595ﻫ/1198م): بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ط8 ، دار المعرفة ، بيروت– لبنان ،1402هـ/1982م، ج2 .

[19]–ابن رشد الجد (ت520هـ/1126م) : فتاوى بن رشد، تحقيـــتق المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ،1407هـ/1987م، ج 1 .

[20]–ابن أبي زرع الفاسي علي(كان حياً726هـ/1326م):الذخيرة السنية في تاريخ الدولـة المرينية ، د ط ، دار منصور، الرباط ،1392 هـ/1972م .

[21]ـ....:الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فـــاس دط ، دار منصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972م .

[22]-الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال و النساء من العـــرب والمستعربين والمستشرقين،ط13،دار العلم للملايين،بيروت- لبنان،1998م، ج3.

[23]ـالزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر(ت538ﻫ/1143م):أساس البلاغـة المحتوى (أبب–غيي), تحقيـق محمد بـاسل عيـون السـود، ط1، دار الكـتب العلميـة بيروت–لبنان ، 1419ﻫ /1998م ، ج1.

[24]-الصاحب إسماعيل بن عباد كافي الكفاة(385هـ/995م):المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين،ط1، عالم الكتب ، بيروت– لبنان ، 1414 هـ/1994م ، ج 2.

[25]-ضيف شوقي:المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،1425هـ/2004م .

[26]–العبدري محمدالبلنسي (ت720هـ/1320م) : الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقـــة ط1 منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة – الجزائر، 1428هـ /2007 م .

[27]–العسقلاني احمد بن علي بن حجر(773هـ852هـ/1371-1448م):بذل الماعـــون في الطاعون، تحقيق احمد عصام عبد القادر، دط ،دار العاصمة، الرياض ،د ت .

[28]–الفيروز آبادي مجد الدين(ت817هـ/1414م):القاموس المحيط،تحقيق مكتب التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1426هـ /2005م.

[29]- القاضي المكناسي أحمد(ت1025هـ/1616م):جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م ،ج1.

[30]–القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م): آثار البـــــلاد واخبـــار العباد، دط ، دار صادر، بيروت ، د ت .

[31]–ابن قنفذ القسنطيني بن الخطيب بن العباس أحمد بن حسن بن علي(ت810هـ): الوفيات معجم زمني للصحابة أعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة11هـ –807هـ،حققه وعلق عليه عادل نويهض،ط4 ،دارالأفاق الجديدة،بيروت،1403 هـ/1983م .

[32] -بن قنفذ القسنطيني أبي العباس أحمد الخطيب (ت810هـ/1408م):أنـس الفقيـــر وعـز الحقير سلسلة الرحلات جامعة محمد الخامس كلية الآداب,نشره وصححه محمـد الفاسي أدولف فور، د ط ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ،1965 م .

[33]-كربخال لمارمول(توفي أواخر ق10هـ/16م):إفريقيا، ترجمه عن الفرنسيـــة محمـــد حجي وآخرون، د ط ، دار المعرفة للنشر، الرباط ، 1984 م ، ج2.

[34]–المراكشي ابن عذارى(كان حياً712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون،ط1،دارالغرب الإسلامي بيروت– لبنان ، 1406هـ /1985م .

[35]–المراكشي عبد الواحد محي الدين أبي محمد:المعجب في تلخيـص المغـرب،تحقيـق

وتعليق محمد زينهم، دار الفرجاني ، القاهرة ، 1994م .

[36]-المطرّزي أبي الفتح ناصرالدّين (538ﻫ-610ﻫ/1143م -1213م) : المغرب فـي ترتيب المعرب،حققه محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ،ط1، مكتبةأسامة بنزيد، حلب -سورية، 1399ﻫ/1979م ،ج1.

[37]-المقري التلمساني احمد بن محمد(1041ﻫ/1631م): نفح الطـيب مـن غصـن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دارصادر،بيروت،1408ﻫ/1988م ،ج3 .

[38]-ابن منظور(ت711ﻫ/1311م):لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخـرون دار المعارف ، القاهرة ، د ت، ج1.

[39]-مؤلف مجهول:كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار،نشروتعليق سعد زغلـول،دار الشؤون الثقافية، العراق ـ بغداد ، 1985م .

[40]-الناصري السلاوي أبوالعباس أحمد بن خالد(1315ﻫ/1879م):الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصـري دط ، دار الكتاب، الدار البيضاء- المغرب،1954 م ، ج1/ج3.

[41]-ابن نظيف أبي الفاضل : التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيـان في حوادث الزمان،نشره وحققه أبوالعيد دودو مراجعة عدنان درويش،مطبوعات مجمع اللغة العربيـة الحجاز- دمشق، 1401ﻫ/1981م .

[42]-النميري الحاج:فيض العُباب وإفاضةقداح الآداب في الحركةالسعيدة إلى قسنطينـة والزاب،دراسةواعدادمحمد ابن شقرون،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ـ لبنان،1990م.

[43]-الوزان الفاسي الحسن بن محمد(959ﻫ/1551م):وصف إفريقيا،ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت ـ لبنان،1983م،ج2.

[44]-الونشريسي أبي العباس احمد(ت914ﻫ/1508م):المعيار المعرب والجامع المغـرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب،خرجه جماعة من الفقهاء محمد حجي،نشـر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية،الرباط،1401ﻫ/1981م،ج1/5/8 .

[45]ياقوت الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان،دارصادر بيروت، 1397ه/1977م ،ج5 .

ثانيا- المراجـــع:

1- الكتب

[1]-بنحمادة سعيد:الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية، ط1، دار رؤية، القاهرة 2013 م.

[2]-بولقطيب الحسين:جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، دط ، منشورات الزمن ، الدار البيضاء ، 2004م ، ج4 .

[3]-البياض عبد الهادي:الكوارث الطبيعية وتأثيرها في سلوك وذهنيـــــات الإنســان في المغرب والأندلس(ق6-8ه/12-14م)، ط1 ،دار الطليعة، بيروت- لبنان،2008م. [4]جمال طه:الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصرالإسلامي عصري المرابطين والموحدين،ط1،دار الوفاء الدنيا للطباعة و النشر،الإسكندرية- مصر، 2004 م. [5]جودت عبد الكريم يوسف:الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغـــرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9م -10م)، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعيــة بن عكنون - الجزائر، 1992م .

[6]حساني مختار :تاريخ الدولة الزيانية(الأحوال الاقتصادية والثقافية),منشورات الحضــارة الجزائر، 2009م ، ج 2.

[7]....:تاريخ الدولةالزيانية(الأحوال الاجتماعية)،منشورات الحضارة،الجزائـر ،2009م،ج3.

[8]الطمارمحمد بن عمرو: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضـــارة الجزائـر دط المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م .

[9]طه جمال أحمد: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحديـــن(448ه/1056م-668ه/1269م) ، دراسة سياسية وحضارية، دط،دار الوفاء، الإسكندرية ،2001م .

[10]فتحةمحمد:النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القـــرن (6هـ9ه/12م - 15م)،مطبعة المعارف الجديدة سلسلة الأطروحات والرسائل منشـورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء ، 1999م .

[11]فيلالي عبدالعزيز: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية،ثقافية)

موفم للنشر، الجزائر، 2007 م ، ج 1.
[12]القدوري عبد المجيد: ابن أبي محلى الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريـــــت ، دط منشورات عكاظ ، الرباط ،1411ﻫ /1991م .
[13]مجموعة كتاب: رسائل موحدية مجموعة جديدة دراســـــة وتحقيق احمـد عزاوي ،ط1 مطبعة النجاح الجديدة،القنيطرة ، 1422 هـ/2001م ، ج 2.
[14]مصطفى أحمد أحمد:سطح الأرض دراسة جغرافية التضاريس، دط ، دار المعرفـة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003م .
[15]أبومصطفى كمال:جوانب من حضارةالمغرب الإسلامي،(من خلال نوازل ونشريسي) دط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1997م .
[16]مغراوي محمد:الموحدون وأزمات المجتمع،ط1،جذور للنشرالرباط،1427ﻫ/2006م.
[17]موسى عز الدين عمر أحمد:دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،ط1،دار الشـروق بيروت، 1403ﻫ/1983م .

2 ــ المجلات و الملتقيات :

[1]–أسكان الحسين:المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصرالوسيط شمال المغرب،المجاعات والأوبئةتاريخ المغرب،العدد4،أكتوبر، بنمسيك 2004م.
[2]–البزاز محمد الأمين : حول المجاعات والأوبئة بالمغرب خلال العصر الوسيط مجلة كليـة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الثامن عشر، أكتوبر، الرباط، 1993م .
[3]–بلعربي خالد:المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698هـ–845هـ)/ (1299م –1442م)،دورية كان التاريخية، العدد الرابع، يونيو، 2009م .

[4]–رابطة الدين محمد:أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولةعبرتاريخ المغرب الجلسة الرابعة التجارة بالمدن قيسارية مراكش الموحدية، دط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ـ الدار البيضاء ، 1409ه/1989م ، ج2.

[5]–السعداوي احمد:المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط النتائج الديمغرافية، الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي،دارسراس،منوبة،1993م.

[6]–كريمي ماجدة: قراءة المدينة الموحدية والمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئـة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، العدد4 ، أكتوبر، فاس ، 2004م .

[7]–المغراوي محمد:المغرب في العصرالموحدي جدليةالقوة والأزمة،المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب ، عدد 4، أكتوبر، الرباط ، 2004 م .

ثالثا ــ المعاجم والقواميس :

[1]–بيارجورج:معجم المصطلحات الجغرافية،ترجمة حمدالطفيلي ومراجعة هيثـــم اللمـع ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان،1422ه/2002م .

[2]–الخطيب مصطفى عبد الكريم:معجم المصطلحات الألقاب التاريخية،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،1416هـ /1996م .

[3]–عمارة محمد:قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية،ط1،دار الشروق، بيروت، 1413ه/1993م.

الكشافات

01 – كشاف الأعلام البشرية

02– كشاف الأعلام الجغرافية

01- كشاف الأعلام البشرية

-أ-

((الأبناء))

ابن الأحمر: 42 .

ابن الإمام محمدبن الوادي الآشي:46 .

ابن الخطيب:22، 32، 34، 43،47

51، 55، 56 .

ابن الزيات:51، 57 .

ابن بطوطة:25، 41 .

ابن خلدون: 34، 65 .

ابن رشد: 16 .

ابن سعيد ابن أبي زرع:19 .

ابن عاشر: 43 .

ابن عبد الستار: 46 .

ابن عذارى المراكشي: 45، 23 .

ابن قنفذ: 43، 45، 64 .

ابن مرزوق: 33 .

ابن منظور: 16 .

ابن هيدور: 43 .

((الآباء))

أبو الخير: 66 .

أبو ثابت عامر المريني:44 .

أبو حسن الحسن المريني: 30 .

أبو الحسن الشادلي: 58 .

أبو حمو موسى الثاني: 32 ، 59 .

أبو زكريا بن يحيى الزاوي: 57 .

أبو زيان ابن جحاف: 56 .

أبو زيد الهزميري: 63 .

أبو سعيد عثمان: 25 .

أبو العباس السبتي: 64 .

أبو العباس الهواري : 58 .

أبو عبد الله الزبيدي: 41 .

أبو عبد الله بن العلاف: 33 .

أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن علي النفزاوي:25 ، 41 .

أبوعبد الله محمد بن يحيى النجار:46.

أبو علاء إدريس بن المنصور يعقوب: 37 ، 45 .

أبو علي عمر بن يحيى الزناتي: 57 .

أبو عنان: 30 .

أبو محمد عبد العزيز الصنهاجي: 59.

أبو موسى : 46 .

أبو يعقوب يوسف المريني: 51 .

أبو يوسف يعقوب المريني :56 .

أبي يعزى: 60 ، 64 .

أبي الحسن: 45، 47، 58 ،61 .

أبي الحسن الصغير: 45 .

أبي الحسن البلنسي : 63 .
أبي عبد الله الهواري: 58 .
أبي عنان المريني: 28 ،30 .
أبي محلى: 46 .
أبي مدين: 62 ، 64 .
أبي يعقوب الأشقر: 60 .
أبي يعقوب الحكيم: 61 .
أبي يعقوب المبتلي: 61 .
أبي يعلى أبي جبل: 60 .

((سائر حروف الألف))
أحمد بن أبي زرع: 61 .
أحمد بن محمد بن عبد الله : 60 .
الأزهري: 16 ، 18 .
الإمام مالك: 16 .

-ب-
البطريني: 46 .

-ت-
التادلي: 58 .
التنبكتي: 26 .
التنسي: 38 .
التيجاني: 47 .

-ح-
الحرالي علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي: 26، 61 .
الحميري: 56 .

-ر-
الرشيد الموحدي : 41 .

-ز-
الزركشي: 47 .

-س-
السلاوي: 28، 29 ، 30 .

-ش-
الشافعي: 16، 18 .
الشمر: 16 .
الشيخ أبا وكيل : 51 .

-ع-
العادل: 58 .
عبد السلام بن مشيش: 61 .
عبد الله القشتالي : 63 .
عبد المهيمن الحضرمي: 46 .
العبدري: 25، 26، 42، 44 .
علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي: 61 .
عمر بن الخطاب بن العباس: 50 .
العمري: 19 .

-ق-

القزويني : 28 ،31 .

-م-

محمد السكوني : 46 .

محمد بن القاسم العزفي : 57 .

محمد المغراوي: 19 .

المراكشي: 20 .

مروان بن عبد الملك بن زهر: 42 .

المستنصر: 42 .

المهدي بن تومرت: 48 .

-ن-

الناصر لدين الله: 23 .

النميري: 28 ،31 ،47 .

-و-

الوزان: 57 .

الونشريسي: 21، 29 ، 35 .

-ي-

اليانشي : 41 ، 46 .

يحيى بن خلدون: 32 ، 43 .

يعقوب بن عبد الحق: 27 ، 30 .

يوسف المريني: 42 .

02- كشاف الأعلام الجغرافية

-أ-

إسبانيا: 24 .

أسفي: 51 .

آسيا الوسطى : 43 .

اشبيلية : 41 .

أغمات: 58 ، 66 .

إفريقية: 38 ، 53 .

الأندلس:19 ،22، 24،26، 27، 30 ،36، 40 ،51 ، 60، 64، 66 .

أوروبا: 43 .

-ب-

بجاية: 26، 57 ، 61 .

برقة: 46 .

البلاد الشرقية: 52 .

بلاد المشرق: 19 .

بلاد المغرب الأقصى: 43،38، 51 .

بلاد المغرب الأوسط:52،39،34،33.

بيطام: 52 .

-ت-

تامسنا: 27، 30 ، 51 .

تانسفت : 53 .

تلمسان: 25 ،33،32، 37، 38 ،39، 42، 43، 44 ، 45، 55، 56 ،59 ، 64.

تونس: 20، 25، 26، 30، 32، 41 ،46، 47، 52 .

تيهرت : 28 .

-ج-

الجزائر: 20 .

-د-

دكالة: 51 .

-ر-

رباط الفتح : 53 .

-س-

سبتة: 19، 37، 41، 46 ،52، 54 ،55، 56 ، 57 .

سجلماسة: 60 .

سلا: 53 ، 54 ، 55 ، 56، 58 ،59 ، 61 .

السودان: 28 .
السوس : 34 ، 47 .

-ش-

شمال إفريقيا: 21، 43 .

-ص-

صنهاجة: 27 .

-ط-

طبنة: 52 .
طنجة: 27 .

-ع-

العرائش: 20 .

-غ-

غمارة: 41 ، 48 ، 65 .

-ف-

فاس: 15، 27، 28، 29، 30، 33
34، 37، 38، 39، 41، 48، 51
52، 53، 56، 60، 61، 63 .

-ق-

قسنطينة: 28، 31 .
القيروان: 31، 53 .

-م-

مراكش: 22، 23، 25،36 ، 37
40، 41، 42، 43، 44، 45، 54
58، 61، 63 .
مكناسة: 56 .
مليانة: 25، 41 .

-هـ-

الهند : 26 .

فهرس المحتوى

الموضوع الصفحة

المقدمة:..... 6-13

الفصل الأول:ماهية الأزمات الطبيعية و أنواعها .....(15-31)

أولا: ماهية الأزمات الطبيعية..... 15-17

1-المفهوم اللغوي للأزمة..... 15-16

2- المعنى الاصطلاحي للأزمة..... 16-17

ثانيا: أنواع الأزمات الطبيعية(جوائح طبيعية و منعطفات مناخية) 18-31

1- الجوائح الطبيعية 18-23

أ ـ الزلازل 19-20

ب ـ الجراد..... 20-22

ج ـ الحرائق 22-23

2- المنعطفات المناخية.....23-31

أ -القحط و الجفاف..... 24-26

ب ـ الأمطار و السيول..... 26-28

ج ـ الثلج و البرَد.....28-29

د- الأعاصير و الرياح 30-31

الفصل الثاني: تأثير الأزمات الطبيعية على بلاد المغرب ..... (32-48)

أولا: تأثير الأزمات الطبيعية على البُنية الاقتصادية..... 32-39

1- القطاع الزراعي 32-35

2- القطاع الصناعي و التجاري 36-38

3 - الثروة الحيوانية.....39

ثانيًا: تأثير الأزمات الطبيعية على البُنية الديمغرافية.....40-48

1- المجاعة و الأوبئة.....40-43

2- الحرابة و التسول..... 44-45

3- كثرة الوفيات و الهجرة 45-47

4- تأثير على الذهنيات و السلوكيات 47-48

الفصل الثالث: طرق مواجهة آثار الأزمات الطبيعية.....(50-66)

أولا: الطرق الإجرائية 50-59

1-تخزين المياه..... 50-52

2- بناء الجسور و القناطير..... 52-53

3 ـ الادخار للأقوات و الاقتصاد في الاستهلاك.....53-57

4 ـ الهبات و المساعدات.....57-59

ثانيا: الطرق الإستمدادية (الطلبية) 59-66

1- الدعاء و الاستسقاء 60-61

2- الصدقات و الكرامات.....62-64

3- الطقوس السحرية و الخرافية.....65-66

خاتمة:.....68-69

الملاحـق :.....71-75

1ـ أسعار القمح و الشعير فترة الغلاء خلال القرن(7هـ_8هـ/13م_14م) في بلاد المغرب 71

2ـ جدول لمختلف أنواع الأزمات الطبيعية في بلاد المغرب في القرن(ه7-8ه/م13-م14).....72-73

3ـجدول للمنعطفات المناخية في بلاد الغرب في عصر الوسيط خلال الحقبة المدروسة

القرنين(ه7-8ه/م13-م14) 74-75

الوراقية:.....76-83

الكشافات 85-89

فهرس المحتوى.....90-92

B